وقفات مع الأحداث

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣٢هـ = ٢٠١١م

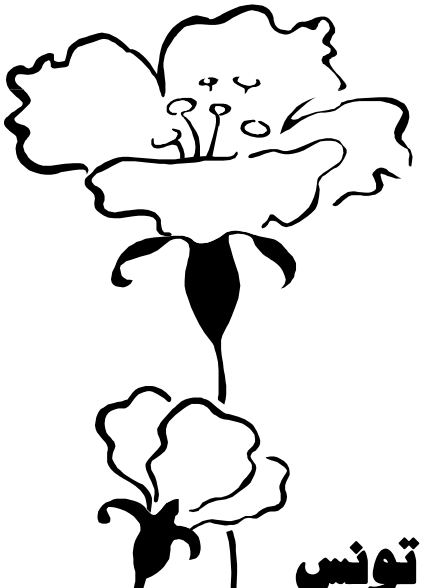

إهداء ...

إلى الشهداء الثوار في تونس الخضراء ، ومصر رمز الحرية والإباء ...

إلى الشباب الذين علمونا معاني : العزة والكرامة والعطاء .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم بلا غاية الباقي بلا نهاية ، الذي على في دنوه ودنا في علوه ، فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ، ولا يئوده حفظ ما خلق ولم يخلقه على مثال سبق ، بل أنشأه ابتداعا وعدّله اصطناعا فأحسن كل شيء خلقه وتمم مشيئته وأوضح حكمته فدل على ألوهيته.

وأشهد أن لا إله إلا الله إلها تقدست أسماؤه وعظمت آلاؤه وعلا عن صفات كل مخلوق وتنزه عن شبيه كل مصنوع فلا تبلغه الأوهام ولا تحيط به العقول ولا الإفهام يعصى فيحلم ويدعى فيسمع ويقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ، وأشهد شهادة حق وقول صدق بإخلاص نية وصحة طويلة أن محمدا بن عبد الله عبده و نبيه وصفيه ، ابتعثه إلى خلقه بالبينة والهدى ودين الحق، فبلغ رسالته ونصح أمته حتى آتاه اليقين ،فصلى الله على علم الهدى وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

أما بعد .. ؛

فإن الأحداث التي وقعت في تونس ومصر في الأيام الماضية أحداث تستحق الوقوف والتأمل من كل عاقل ، لأنها أحداث ربما تجاوزت حدود التوقعات ، كما أن صداها قد تجاوز حدودها الجغرافية وكذا أثرها سوف يظل حكاية تروى للأجيال القادمة ،فقد الثورة الشعبية في تونس في ١٧ ديسمبر ٢٠١٠ بعد ما أضرم محمد البوعزيزى النار في نفسه كاحتجاج على حالة البطالة التي كان يعاني منها وعلى مصادرة أعوان البلدية للعربة التي يستخدمها لبيع الخضار بعد أن اعتدوا عليه بالضرب، ثم أوصدت في وجهه أبواب المسئولين.

كانت هذه الشرارة التي أشعلت لهيب المظاهرات التي سرعان ما انتقلت إلى

المدن المجاورة، لينزل آلاف التونسيين إلى الشوارع ليعبروا عن رفضهم للبطالة وغياب العدالة الاجتماعية ولظاهرة الفساد التي انتشرت في مختلف هياكل الدولة، وللمطالبة كذلك بوضع حد لعمليات نهب المال العام من قبل عائلة الرئيس آنذاك وأصهاره ثم انضافت إلى قائمة الاحتجاجات الشعبية مطالب بإصلاحات سياسية عميقة وعدم كبت الحريات.

حاول النظام إيقاف الاحتجاجات عن طريق الحل الأمني. نتج عن ذلك اشتباكات عنيفة بين قوات الأمن والمتظاهرين مما أدى إلى وقوع ما يناهز ١٠٠ قتيل وعديد الجرحى. لكن الثورة الشعبية لم تهدأ رغم القمع و الضرب و القتل والاعتقالات.

من جهته حاول الرئيس التونسي زين العابدين بن علي تهدئة الأوضاع فألقى خطابين مزج فيهما بين الترهيب والترغيب مركزا على الوعيد، قبل أن يتوجه بخطابه الأخير الذي أعلن فيه عن جملة من الإصلاحات كالتخفيف من أسعار المواد الأساسية وإيقاف الرقابة على وسائل الإعلام، كما أعلن انه لن يترشح للانتخابات الرئاسية لسنة ٢٠١٤. كما قام قبل ذلك بتحويرات وزارية وعزل بعض المستشارين ثم حل الحكومة لاحقا. لكن كل ذلك جاء متأخرا لان الشعب كان قد حسم قراره بتنحية بن علي وعبر عن ذلك بشعاره الشهير خبز وماء وبن علي لا.

وفي مساء يوم الجمعة الموافق ١٤ يناير سنة ٢٠١١ م ، وبعد ساعات من حل الحكومة والإعلان عن انتخابات تشريعية في غضون أشهر، هرب بن علي مغادرا تونس باتجاه مالطا ثم باريس التي رفضت استقباله لينتهي به المطاف في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية. بعد ذلك، ووفقا للفصل ٥٦ من الدستور، أعلن في تونس عن تولي محمد الغنوشي رئيس الوزراء منصب رئاسة الجمهورية بصفة مؤقتة الذي لم يمكث فيه طويلا ليعلن المجلس الدستوري شغور المنصب ليتولى بذلك فؤاد المبزع مهام الرئيس

وفقا للفصل ٥٧. وأعلنت حالة الطوارئ في البلاد واستلم الجيش زمام الأمور.

أما في مصر فقد تنادى الشعب المصري عبر المواقع الاجتماعية على الإنترنت كالـ فيسبوك والـ تويتر والـ يوتيوب إلى إعلان يوم الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١ م (وهو يوافق الاحتفالات الرسمية بـ"عيد الشرطة") بأنه يوم غضب للشعب المصري متأثرين بالثورة التونسية الشعبية ، فلبى آلاف المحتجين الدعوة وخرجت المظاهرات في مختلف أرجاء مصر.
لجأت قوات الأمن المركزي لفض اعتصام آلاف المصريين بالقوة في ميدان التحرير بوسط القاهرة وعند منتصف الليل ، وقد شهدت الاحتجاجات ثلاثة قتلى من المتظاهرين، إضافة إلى جندي من الشرطة.
وقد شملت المظاهرات بالإضافة إلى القاهرة العاصمة مدن: دمياط وأسيوط والمحلة الكبرى والإسكندرية والمنصورة والسويس والإسماعيلية وطنطا.
وفي اليوم الثاني: ٢٦ يناير ٢٠١١ قامت آلاف من قوات الأمن بإلقاء القنابل المسيلة للدموع بكثافة بُعيد منتصف الليلة على نحو عشرة آلاف متظاهر بميدان التحرير حسب التقديرات الحكومية، وفرقتهم وطاردتهم عبر الشوارع الفرعية، وازدادت الاحتجاجات بمحافظة السويس ، ووصل عدد الضحايا إلى ٧ قتلى.
وفي اليوم الثالث: ٢٧ يناير ٢٠١١ بدأت في صباح اليوم الثالث عدة مظاهرات في مدينتي الإسماعيلية وطنطا، فقد انطلقت تعزيزات أمنية إلى محافظة الإسماعيلية وبدأت تظاهرات أمام "مجمع المحاكم" في مدينة طنطا بلغ عدد المتظاهرين فيها حوالي ٥،٠٠٠ شخص. وقد اقتحم متظاهرون في صباح اليوم نفسه بوابات وزارة الخارجية المصرية، وأضرموا النار في عجلات السيارات في شوارع البلد كما تابعت المظاهرات والاحتجاجات

الظهور في عدة مدن أخرى ، وبنهاية اليوم الثالث قامت الحكومة المصرية بقطع شبكات الانترنت عن مصر.

وفي اليوم الرابع: ٢٨ يناير ٢٠١١ وهو يوم : (جمعة الغضب) أصدرت وزارة الاتصالات أمرا بوقف خدمة الإنترنت والرسائل القصيرة (sms) والاتصال عبر الهواتف المحمولة في جميع أنحاء الجمهورية المصرية ، بدأت بعد أداء صلاة الجمعة تظاهرات شعبية واسعة في عدد من المدن المصرية، فخرج مئات الآلاف في أغلب المدن المصرية

وقد أطلق الأمن في القاهرة القنابل المسيلة للدموع واعترض رجال الأمن المتظاهرين في محاولة لمنعهم من الوصول إلى ميدان التحرير، كما أطلقت القوات الأمنية الرصاص المطاطي على المتظاهرين قرب الأزهر، ولاحق رجال أمن بملابس مدنية المتظاهرين وقاموا باعتقال بعضهم. إلا أن جموع المتظاهرين واصلت تظاهرها وبدأ المتظاهرون بالتوجه إلى القصر الرئاسي، وهم يَهتفون بسقوط الرئيس المصري. كما امتدت المظاهرات إلى مناطق أخرى في البلاد كمدينة نصر شرقي القاهرة.

مع عصر اليوم كان المتظاهرون قد نجحوا في السيطرة بالكامل على مدينتي الإسكندرية والسويس، فقد تم إحراق جميع مراكز الشرطة في الإسكندرية واضطرت قوات الأمن في آخر الأمر إلى الانسحاب من المدينة بعد الفشل في قمع المتظاهرين، أما في السويس فقد سَيطَرَ المتظاهرون على أسلحة قسم شرطة الأربعين، واستخدموا القنابل المُسيلة للدموع ضد رجال الأمن بينما شاعت أنباء عن سيطرة المتظاهرين على المدينة وطرد قوات الأمن منها. وتم حرق مقر للحزب الوطني الحزب الحاكم الرئيسيّ الواقع في مدينة القاهرة، كما دمرت مقرات الحزب في عدة مدن بما في ذلك كوم أمبو ودمياط، وقام المتظاهرون فضلاً عن ذلك بإتلاف جميع صور الرئيس حسني مبارك في مسقط رأسه شبين الكوم بمحافظة المنوفية.

في حدود الخامسة بعد الظهر بدأت قوات الجيش بالظهور في ميادين القاهرة، وفي الخامسة والنصف أعلنت رويترز أن الحاكم العسكري يُعلن عن حظر التجول في القاهرة والإسكندرية والسويس، لكن بالرغم من ذلك فقد تحدت جموع المتظاهرين حظر التجوال. وقد أعلنت السي إن إن تباعاً عن خطاب سيَصدر عن الرئيس حسني مبارك بخصوص المظاهرات، لكن ثبت بعد ذلك عدم أنه غير صحيح.

وفي نهاية اليوم نزلت مدرعات الجيش المصري إلى شوارع المدن لمساندة قوات الشرطة التي لم تعد قادرة على تحمل الضغوطات وحدها. بدأت حالات من النهب والسلب تقول الحكومة إنها من المتظاهرين ولكن المتظاهرين يقولون إن السبب عملاء جندتهم الحكومة للتخريب.

وفي يوم ٢٩ يناير ٢٠١١ أذاع التلفزيون المصري عن خطاب للرئيس المصري حسني مبارك وعد فيه بحل المشكلات الاقتصادية وقام بحل الحكومة مع وعد بتشكيل حكومة افضل وتوفير فرص أكبر للشعب المصري للنمو والرخاء وترك مزيد من الفرص للحريات كانت ردة فعل المتظاهرين والمعارضة هي رفض البيان الرئاسي بل أعلنت الجمعية الوطنية للتغير لن ترضي بأقل من رحيل الرئيس المصري.

وفي هذا اليوم انتشرت عصابات في كافة أحياء القاهرة تقوم بأعمال النهب والسلب مع تجاهل تام للشرطة المصرية لما يحدث بل وصلت الأمور لدرجة الاختفاء التام للشرطة مع أطلاق الشرطة لكافة المحتجزين بداخل أقسام الشرطة مع انتشار دعوات عبر رسائل الجوال للمتظاهرين للعودة لحماية بيوتهم.

وسادت حالة من التوتر الأمني والتمرد عددا من السجون المصرية، خاصة في ليمان طرة وأبو زعبل والقطا. وتحدث مراسلو الجزيرة عن إطلاق نار وسقوط قتلى وجرحى في هذه السجون. وذكرت مصادر أمنية لرويترز أن

ثمانية من نزلاء سجن أبو زعبل قتلوا برصاص قوات الأمن وأن ١٢٣ آخرين أصيبوا أثناء محاولتهم الهروب من السجن. وقد قالت مصادر أمنية إن نحو ألف شخص فروا من أماكن الاحتجاز في أقسام شرطة مصرية اقتحمها محتجون ونهبوها وأحرقوا أغلبها. وذكر مراسل الجزيرة أن قوات الأمن اقتحمت سجن القطا بدلتا مصر وتحدث عن عشرات القتلى. كما تحدث عن تمرد بسجن أبو زعبل الذي يضم سجناء سياسيين، وأشار إلى إطلاق نار على المعتقلين.

ولقد دعا المحتجون "لمسيرة مليونية" يوم الثلاثاء ١ فبراير ٢٠١١ لمطالبة الرئيس حسني مبارك بالتنحي فيما ذكرت وسائل الأعلام الرسمية إن السلطات أوقفت حركة القطارات في البلاد.

وفي يوم ١ فبراير ٢٠١١ (المظاهرات المليونية) خرج عشرات الآلاف من المتظاهرين الى شوارع القاهرة وغيرها من مدن مصر استجابة لدعوة المعارضة لانطلاق "تظاهرة مليونية" لاجبار الرئيس حسني مبارك على الرحيل فقد غض ميدان التحرير بالمحتجين، بينما اعلن منظمو التظاهرة ان عددهم تجاوز المليون متظاهر. وتعتبر تظاهرات الثلاثاء الاكبر منذ انطلاق حركة الاحتجاج في الاسبوع الماضي قدر عدد المتظاهرين في القاهرة باكثر من ٢٠٠،٠٠٠ من وكالة رويترز واملیون من قبل الجزيرة. قالت وكالة أسوشيتد برس إن تظاهرة اليوم تبدو افضل تنظيما من سابقاتها حيث يقوم متطوعون بالتفتيش عن مندسين من جانب الحكومة قد يحاولون استثارة العنف. تم تقدير العدد الإجمالي لمتظاهرو اليوم بحوالي ثمانية ملايين شخص في القاهرة وسائر أنحاء مصر، مطالبين بتنحي الرئيس حسني مبارك ونظامه عن الحكم. وكانت السلطات المصرية قد اغلقت كل الطرق المؤدية الى القاهرة من المحافظات المجاورة، كما اوقفت كل خدمات السكك الحديد والحافلات لمنع المتظاهرين من التوجه الى العاصمة. في حين خرجت

تظاهرات مؤيدة للرئيس مبارك – قدرت بالآلاف – في مناطق اخرى من العاصمة ولاسيما حي المهندسين وأمام مبنى التلفزيون ما إن انتهي خطاب الرئيس مبارك، الذي أعلن فيه عدم ترشحه لولاية جديدة، حتى قام كل المعتصمون في كل من ميداني التحرير بالقاهرة والشهداء بالإسكندرية بالإضافة إلي المتظاهرون بكل المحافظات برفض خطابه و الهتاف بسقوطه.

وفى حوار لنائب الرئيس عمر سليمان للتلفزيون المصري أكد أن الرئيس المصري لا يريد الترشح للانتخابات ولا ابنه السيد جمال مبارك كما كان يدعى البعض .

وفي يوم ٦ فبراير ٢٠١١ أعلن المتحدث الرسمي باسم الحكومة المصرية مجدي راضي الأحد أن جلسة الحوار التي عقدت بين نائب الرئيس سليمان ومجموعة من ممثلي المعارضة والشخصيات الهامة انتهت إلى التوافق على تشكيل لجنة لإعداد تعديلات دستورية في غضون شهور، والعمل على إنهاء حالة الطوارئ وتشكيل لجنة وطنية للمتابعة والتنفيذ وتحرير وسائل الإعلام والاتصالات وملاحقة المتهمين في قضايا الفساد،والتقى نائب الرئيس المصري سليمان بمجموعات من قوى المعارضة بينها ممثلون عن جماعة الإخوان المسلمين وبمشاركة حزب الوفد الليبرالي وحزب التجمع اليساري وممثلون عن البرادعي أبرز المعارضين لمبارك لإيجاد حل للأزمة السياسية التي تعصف بالبلاد، كما رفض سليمان مطلب المعارضة بقيام مبارك بتفويض سلطاته إلى نائب الرئيس.

وفى مساء الخميس ١٠ فبراير خرج الرئيس "مبارك" على المصريين "الغاضبين" ليعلن أنه طلب تعديل ٥ مواد في الدستور وألغى مادة تتيح رفع حالة الطوارئ كما كشف عن استقراره على نقل صلاحياته لنائبه عمر سليمان.

إلا أن الجمعة ١١ فبراير كان بمثابة "يوم الحسم"، فقد خرج ملايين

المواطنين في القاهرة الكبرى والإسكندرية والصعيد ومحافظات الدلتا والقناة للإعلان عن رفض الخطاب الثالث لـــ"مبارك"، كما تحرك الآلاف من المحتجين إلى "أماكن حساسة" بالدولة على رأسها قصري الرئاسة بمصر الجديدة ورأس التين بالإسكندرية ومبنى الإذاعة والتليفزيون المطل على نهر النيل ، مما جعل الرئيس حسني مبارك ينازل عن منصبه ويترك للجيش شؤون إدارة البلاد .

ففي السادسة من مساء الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١ أعلن السيد عمر سليمان في بيان قصير عن تخلي الرئيس عن منصبه وكان هذا نصه.

"بسم الله الرحمن الرحيم. أيها المواطنون في ظل هذه الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد قرر الرئيس محمد حسنى مبارك تخليه عن منصب رئيس الجمهورية وكلف المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإدارة شئون البلاد. والله الموفق والمستعان".

تنحى مبارك عن الحكم وسلمه للمجلس الأعلى للقوات المسلحة، فتدفق الملايين من الناس إلى شوارع القاهرة احتفالا برحيله، خاصةً في ميدان التحرير، كما هتفت النساء بالزغاريد. وأصيب بعض الأشخاص بالإغماء من فرط فرحتهم. وما هي إلا دقائق حتى عمّت الاحتفالات جميع أرجاء مدن الوطن العربي من المحيط إلى الخليج ابتهاجاً بانتصار ثورة ٢٥ يناير وتنحي مبارك عن الحكم.

واعتبرت عدة جهات دولية تنحي مبارك خطوة إيجابية على طريق الإصلاح والديمقراطية الحقة ، التي تتاح فيها حرية الآراء ، وتصان فيها كرامة الإنسان فيأمن على نفسه وعلى مستقبله .

وبذلك تبدأ صفحة جديدة من التاريخ المصري يتطلع فيها الناس إلى غد أفضل ، وإلى مستقبل مشرق باسم .

وهناك وقفات مهمة يجب علينا أن نتوقف عندها مع توالي هذه الأحداث وهي :

١- المظاهرات بين المشروع والممنوع .

٢- حب الوطن من الإيمان .

٣- شكر الله تعالى على نعمة الأمن .

٤- صفحة جديدة مع الشباب .

٥- إذا صلح الرأس صلح الجسد .

٦- تخير لنفسك البطانة الصالحة .

٧- الظلم ظلمات يوم القيامة .

٨- وجوب محاسبة الولاة .

٩- الفساد الإداري ظاهرة تستحق المعالجة.

١٠- كيفية التعامل مع الشائعات .

١١- ميدان التحرير (المدينة الفاضلة) .

١٢- الحاجة إلى التوبة الجماعية .

اللهم أعطنا من الخير فوق ما نرجو واصرف عنا من السوء فوق ما نحذر. اللهم علق قلوبنا برجائك واقطع رجاءنا عمن سواك. اللهم إنك تعلم عيوبنا فاسترها وتعلم حاجاتنا فاقضها كفى بك وليًا وكفى بك نصيرًا يا ربا العالمين اللهم وفقنا لسلوك سبيل عبادك الأخيار واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

راجي عفو ربه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

hamesabadr@yahoo.com

في : الجمعة ٩ ربيع الأول ١٤٣٢هـ = ١١ /٢/ ٢٠١١م

١- المظاهرات بين المشروع والممنوع :

في ظل الأحداث التي جرت في تونس ثم أعقبتها الأحداث في مصر من خروج المظاهرات للمطالبة بالتغيير في نظام الحكم ، ورفع المظالم التي تراكمت على كاهل الناس سنين طويلة ، في ظل ذلك كله برز فقه جديد يسمى (فقه المظاهرات) ، والذي فيه قد تباينت الآراء ما بين مانع ومجيز، ولكل فريق من الفريقين أدلته التي لا تمنع بأي حال من الأحوال أن هذه مسألة خلافية تخضع للاجتهاد ، وأنها ليست من المسائل قطعية الثبوت قطعية الدلالة ، لذا ينبغي حيالها أن نعرف أن في الأمر سعة ، وأن الخلاف فيها لا يفسد للود قضية ،فالاختلاف سنة ربانية وطبيعة بشرية ، قال تعالى : " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) سورة هود .

يقول ابن مفلح: لا إنكار على من اجتهد فيما يسوغ منه خلاف في الفروع.

انظر : الآداب الشرعية ١٨٦/١.

فالمجتهد في كلا الحالين مأجور ' عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ، ثُمَّ أَصَابَ ، فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ، ثُمَّ أَخْطَأَ ، فَلَهُ أَجْرٌ. أخرجه أحمد ١٩٨/٤و"البُخَارِي" ١٣٢/٩و"مسلم"١٣١/٥(٤٥٠٨ و٤٥٠٩) .

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤكد للصحابة رضوان الله عليهم ويربيهم على اتساع صدورهم للخلاف ، وأن الحياة تتسع للجميع للميسر ولمن يأخذ بالحيطة ، لمن يتبع تشددات ابن عمر ولمن يتبع رخص ابن عباس رضي الله عنهما .

فعَنْ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلاَءِ الأَسْرَى ؟ قَالَ : فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللهِ ، قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ ، اسْتَبْقِهِمْ وَاسْتَانِ بِهِمْ ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : وَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَخْرَجُوكَ وكَذَّبُوكَ ، قَرِّبْهُمْ ، فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ ، قَالَ : وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، انْظُرْ وَادِيًا كَثِيرَ الْحَطَبِ ، فَأَدْخِلْهُمْ فِيهِ ، ثُمَّ أَضْرِمْ عَلَيْهِمْ نَارًا ، قَالَ : فَقَالَ الْعَبَّاسُ : قَطَعْتَ رَحِمَكَ ، قَالَ : فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا ، قَالَ : فَقَالَ نَاسٌ : يَأْخُذُ بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ ، وَقَالَ نَاسٌ : يَأْخُذُ بِقَوْلِ عُمَرَ ، وَقَالَ نَاسٌ : يَأْخُذُ بِقَوْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ ، قَالَ : فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ ، حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشُدُّ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ ، حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ ، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، قَالَ : " فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦) **سورة إبراهيم** ، وَمَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ عِيسَى ، قَالَ : " إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) **سورة المائدة** ، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ نُوحٍ ، قَالَ : " رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) سورة نوح ، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ مُوسَى ، قَالَ رَبِّ : " وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨) **سورة يونس** ، أَنْتُمْ عَالَةٌ ، فَلاَ يَنْفَلِتَنَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ بِفِدَاءٍ ، أَوْ ضَرْبَةِ عُنُقٍ ، قَالَ عَبْدُ اللهِ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِلاَّ سُهَيْلَ بْنَ بَيْضَاءَ ، فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ الإِسْلاَمَ ، قَالَ : فَسَكَتَ ، قَالَ : فَمَا رَأَيْتُنِي فِي يَوْمٍ أَخْوَفَ أَنْ تَقَعَ عَلَيَّ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ مِنِّي ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، حَتَّى قَالَ : إِلاَّ سُهَيْلَ بْنَ بَيْضَاءَ ، قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : " مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ

سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) سورة الأنفال.أخرجه أحمد ٣٨٣/١(٣٦٣٢) و"التِّرمِذي" ١٧١٤ و٣٠٨٤ .

وعَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِى قُرَيْظَةَ فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لاَ نُصَلِّى حَتَّى نَأْتِيَهَا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ نُصَلِّى لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ. أَخْرَجَهُ البخاري ١٩/٢(٩٤٦) و"مسلم" ١٦٢/٥(٤٦٢٤) .

فالمهم في المسألة إحسان الظن بالآخرين ، وعدم نفي الآخر لأنه رأيه مخالف ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً. الدر المنثور للسيوطي: ٩٩/٦.

ومسألة المظاهرات تباينت فيها آراء على رأيين :

الرأي الأول : عدم جواز الخروج في هذه المظاهرات ؛ واستدلوا لذلك بالأدلة الآتية:

١- أنها ليست وسيلة شرعية من وسائل الدعوة، بل تشمل كثيرًا من المحرمات في أثناء المظاهرات.

٢- أنها بدعة مستحدثة أول من فعلها، هم الغرب، حيث إنه لم يوجد في التراث أي فعل دل على أن المسلمين فعلوها، لا الصحابة، ولا التابعون، ولا أحد من الفقهاء القدامى، ولا المحدثين، فهي بدعة مستحدثة.

٣- أنها باب للخروج على الحكام وتكفيرهم، فتح باب الفتنة في الخوض في أعراض العلماء والحكام.

ودللوا على ذلك بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من نصوص ثابتة ومقررة ومنها ، قول الله تعالى :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) سورة النساء.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم ، عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِى أُمَيَّةَ قَالَ دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقُلْنَا حَدِّثْنَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَبَايَعْنَاهُ فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ قَالَ إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ. أخرجه أحمد ٣٢١/٥(٢٣١١٥) و"البُخَارِي" ٥٩/٩(٧٠٥٥) و"مسلم" ١٦/٦(٤٧٩٩).

وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَفَلاَ نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ ، فَقَالَ : لاَ ، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلاَتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ ، وَلاَ تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ. أخرجه أحمد ٣٤/٦(٢٤٤٨١) و"مسلم"٣٤/٦(٤٨٣٢).

وعَنْ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ:بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَعَلَى أَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لاَ نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ. أخرجه "أحمد" ٤٤١/٣(١٥٧٣٨) و"البُخَارِي" ٩٦/٩(٧١٩٩) و"مسلم" ١٦/٦(٤٧٩٦).

وعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ ، قَالَ:قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا ، قَالُوا : فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ ، وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ .

– وفي رواية : " إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِى أَثَرَةً ، وَفِتَنًا ، وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا ، قُلْنَا :

يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَا تَأْمُرُنَا لِمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنَّا ؟ قَالَ : تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الذي عَلَيْكُمْ ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الذي لَكُمْ ". أخرجه أحمد ٣٨٤/١(٣٦٤٠) والبُخاري(٣٤١/٤(٣٦٠٣) و"مسلم" ١٧/٦(٤٨٠٣).

بل وهناك نصوص تمنع المسلم من الخروج في الفتن منها ، ما روي عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقُلْتُ : هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ، قَالَ : نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخَنٌ . قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ ؟ قَالَ : : قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي ، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ . فَقُلْتُ : هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، صِفْهُمْ لَنَا . قَالَ : نَعَمْ ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ؟ قَالَ : تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ . فَقُلْتُ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ ؟ قَالَ : فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ. أخرجه البُخَارِي ٢٤٢/٤(٣٦٠٦).

والرأي الثاني : من رأى جواز الخروج في المظاهرات ؛ لما في ذلك من مصلحة شرعية ، تتحقق من وراءها مصالح اجتماعية ، فرأى هؤلاء المجوزون للمظاهرات، أنها جائزة، وسنة مشروعة، سنها الرسول صلى الله عليه وسلم واستدلوا لذلك بأدلة منها :الحديث أبو نعيم في الحلية بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: فقلت :يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم، قال فقلت ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن، فأخرجناه في صفين: حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديد ككديد الطحين حتى دخلنا

المسجد، قال فنظرت إليّ قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق. وفرق الله بي بين الحق والباطل. حلية الأولياء ٤٠/١، وانظر: فتح الباري ٥٩/٧.

وذكره ابن حجر ــ رحمه الله ــ في فتح الباري قائلاً: وروى أبو جعفر بن أبي شيبة نحوه في تاريخه من حديث ابن عباس، وفي آخره "فقلت يا رسول الله ففيم الاختفاء؟"، فخرجنا في صفين: أنا في أحدهما، وحمزة في الآخر، فنظرت قريش إلينا فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها"، وأخرجه البزار من طريق أسلم مولى عمر عن عمر مطولا .فتح الباري ٥٩/٧.

فالرسول صلى الله عليه وسلم خرج بالصحابة في مظاهرة، لإظهار قوة المسلمين، وكثرة عددهم بعد إلحاح الصحابة على ذلك، وهذا تعبير عن رأيهم، أو عن معتقدهم، فقد رأوا أنها أنسب وسيلة للتعبير عن الرأي إذ ذاك، ولقد حققت هذه المظاهرة هدفها، وهو إعلان هويتهم، وتعريف قريش بهم وبقوتهم، ولفت الأنظار إليهم، ومن خلال إظهار القوة، فإن الضغط على المسلمين سوف يقل نوعًا ما.

كما أن الأصل في الأشياء الإباحة، وقد يخرجها عن هذا الحكم، وجوبًا أو حرمة أو كراهة ما يطرأ عليها، فقد تكون واجبة، عندما لا تكون هناك وسيلة سواها لتغيير المنكر، أو للحصول على حق أو لدفع ظلم.عَنْ أَبِى سَعِيدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَاسْتَطَاعَ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ ، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ بِلِسَانِهِ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ. أخرجه أحمد ١٠/٣(١١٠٨٩) و"مسلم" ٥٠/١(٨٦).

وكذا فإن المظاهرات وسيلة لها أحكام المقاصد، فإذا أدت إلى تحقيق مصلحة وإزالة مفسدة، كانت مطلوبة، وإذا أدَّت إلى تحقيق مفسدة، أو إزالة مصلحة، كانت حرامًا، وذلك إعمالاً للقاعدة الفقهية التي تقول: "إذا تعارضت مفسدتان

رُوعي أعظمهما ضررًا بارتكاب أخفهما، والقاعدة الأخرى :درء المفاسد أولى من جلب المصالح.

فالوسائل لها أحكام المقاصد، فما الذي يقصده المسلمون بهذه الوسيلة، إلا إظهار الحق، ورفض الظلم، وشحذ همم الناس وألسنتهم وأقلامهم وأيديهم بما يملكون فعله، كما أن في هذا توحيدًا في الموقف وتقوية لرأي الأمة.

فالمظاهرة ليست خروجا على الحاكم بل هي اعتراض على أمر ما رأى فيه الناس نوعاً من الظلم وقع عليهم ، ومن واجب الحاكم أن يستمع إلى تلك الشكوى ويزيل أسبابها ، فقد استمع النبي صلى الله عليه وسلم إلى شكوى الأنصار وحقق فيها وأزال أسبابها ،

فعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ، عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ : لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَنْصَارِ مِنْهَا شَىْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَىُّ مِنَ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ لَقِىَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَوْمَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَىَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَىْءِ الذي أَصَبْتَ قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَىِّ مِنَ الأَنْصَارِ شَىْءٌ قَالَ فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ. قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلاَّ امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِى وَمَا أَنَا قَالَ : فَاجْمَعْ لِى قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ. قَالَ فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ الأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ قَالَ فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَىُّ مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ : فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِى هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِى عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ قَالُوا بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ. قَالَ : أَلاَ تُجِيبُونَنِى يَا مَعْشَرَ

الأَنْصَارِ. قَالُوا : وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلاً فَآسَيْنَاكَ أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُم يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلاَمِكُمْ أَفَلاَ تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رِحَالِكُمْ فَوَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءًا مِنَ الأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ. قَالَ : فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا. ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَتَفَرَّقُوا. **أخرجه أحمد ٦٧/٣(١١٦٥٩)،سيرة ابن هشام ٤٩٧/٣.**

ولقد اتفق المفسرون على أن طاعة الله مطلقة وطاعة رسوله مطلقة، ولكن طاعة ولي الأمر مقيدة بالمعروف، ولذا لم تكرر الآية لفظ «وأطيعوا» عند ذكر أولى الأمر.

فلا سمع ولا طاعة في المعصية والخطأ: وهذا أصل مقرر شرعاً ، عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةً ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ ، قَالَ : فَلَمَّا خَرَجُوا – قَالَ – : وَجَدَ عَلَيْهِمْ فِي شَيْءٍ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُمْ : أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَكُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ تُطِيعُونِي ؟ قَالَ : قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَقَالَ : اجْمَعُوا حَطَبًا ، ثُمَّ دَعَا بِنَارٍ فَأَضْرَمَهَا فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَتَدْخُلُنَّهَا ، قَالَ : فَهَمَّ الْقَوْمُ أَنْ يَدْخُلُوهَا ، قَالَ : فَقَالَ لَهُمْ شَابٌّ مِنْهُمْ : إِنَّمَا فَرَرْتُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ النَّارِ ، فَلاَ تَعْجَلُوا حَتَّى تَلْقَوُا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوهَا فَادْخُلُوا ، قَالَ : فَرَجَعُوا إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : لَوْ دَخَلْتُمُوهَا مَا خَرَجْتُمْ مِنْهَا أَبَدًا ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ.

– وفي رواية : لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ. أخرجه أحمد ٨٣/١(٦٢٢) و"البُخَارِي" ٣٠٣/٥(٤٣٤٠) و"مسلم" ١٥/٦(٤٧٩٣).

ولا يعني عدم السمع والطاعة موقفاً سلبياً، بل يجب إنكار المعصية وعدم إقرارها أو السكوت عليها، فلا يتابع الحاكم ولا يقر على المعصية، وأيضاً لا يتابع ولا يقر على الخطأ، وهذا أصل في ديننا ألا يقر أحد على الخطأ بل يعدل أو يطلب منه تعديله، حتى إمام المصلين يتابع في كل شأن الصلاة إلا الخطأ فيها فلا يتابع.

ثانياً: النصح لولي الأمر لا ينافي السمع والطاعة: فقد خص النبي صلى الله عليه وسلم الحاكم بالنصيحة، وجعل النصيحة إليه واجبة ومقدمة على نصيحة الرعية، لأن بيده سلطة التغيير والحكم على العامة، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ، أَنَّ رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، قَالُوا : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : لِلهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِنَبِيِّهِ ، وَلأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَّتِهِمْ.أخرجه "أحمد" ١٠٢/٤(١٧٠٦٤) و"مسلم" ٥٣/١(١٠٧).

فالمراد بأئمة المسلمين الذين تلزم طاعتهم الحكام ومن ينوب عنهم في الولايات والعلماء الربانيون أهل الحل والعقد الذين شهدت لهم الأمة ، قال ابن عباس " هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم " وقال أبو هريرة " هم الأمراء والولاة ". قال ابن كثير " والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء" .

وأهل العلم معنيون بتوجيه النصح أمراً ونهياً، ولذا كان من أصول ديننا : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح في دائرته، فلا تعارض بين النصح ولو بلغ حد الإغلاظ فيه وبين السمع والطاعة، بل النصح من مقتضيات السمع والطاعة وإن صاحبه الأذى للناصح وتاريخ علمائنا شاهد على ذلك.

وهذا النصح بالسر لمن يجدى نصح السر معه وإلا فالجهر مشروع بل مطلوب ليعلمه الكافة فينكروه، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : " أفضل الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله" . أخرجه الحاكم (٣ / ١٩٥) الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٦٤٨ .

وهكذا كانت نصائح العلماء على مر التاريخ فالجهر والإسرار حسب الظرف والمصلحة.

ولقد تنوعت واتسعت اليوم سبل النصح أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عما كانت عليه سلفاً وهو تبعاً لمساحة الحرية المتاحة، فليس كل حاكم أو نظام يفتح أبوابه للسمع مباشرة، بل هناك قنوات وضعت له، أو عبر أعوانه، أو وزرائه أي حكومته، أو عبر المجالس النيابية، أو وسائل الإعلام المختلفة التي ارتضى الحاكم حدودها بإقراره الدساتير والقوانين التي تحدد الحدود، وتبين السبل، فكل ما كان كذلك فهو مسموح به قانوناً.

وإبداء الرأي أو المظاهرات لا تنافي السمع والطاعة: فالحكام والنظم بين مضيق ومتوسط وموسع في شأن الحريات وإبداء الناس آراءهم، وليس كل رأي يعلن عنه، ولا كل مسيرة أو مظاهرة يسمح بها، وإنما الدساتير والقوانين تحد حدودها، والدول الحضارية توسع، والدول المتخلفة تضيق، ولكل بلد ظروفه وموروثاته وأعرافه، ولا يصح وصف من يعبر عن رأيه في صحافة أو غيرها، أو يعبر عن رأيه بمسيرة أو اعتصام أو مظاهرة أنه يعارض قول الحاكم أو يثير الفتنة، فهو مخالف للشرع لأنه عصى ولي الأمر. فان ما سمح به ولي الأمر والدساتير فهو في دائرة المباح وهذا في الحالات والظروف العادية السلمية.

فالأصل جواز التعبير بكل وسيلة حتى بالاعتصامات وبالمسيرات والمظاهرات والتجمعات، ما لم يصدر من ولي الأمر منعها أو تقييدها تبعاً للظروف والأحوال.

وقواعد ومقاصد شريعتنا تعتبر المظاهرات وسيلة وهي اليوم وسيلة حضارية ما دام هدفها سامياً، فالأصل في الوسائل الجواز ما دام هدفها نبيلاً يحقق مصالح الناس، وقد تكون الوسيلة واجبة إذا تعينت طريقاً للإصلاح أو توصيل الرأي، أو هي مطلوبة مرغوب فيها لنصرة الحق، مثل تعبير الناس عن فرحتهم بالتحرير فتظاهر الكبار والصغار تعبيرا عن هذه الفرحة، ومن ذلك نصرة قضايا المسلمين العامة .

فطاعة ولي الأمر في غير المعصية والنصح له واجب على كل مسلم ومسلمة، والأصل حرمة الخروج على الحاكم، بيد أن إبداء الرأي بكل الوسائل لا يعني الخروج عليه، والنصح لولي الأمر وإن صاحبه أذى الناصح لا ينافي الطاعة الواجبة، فالطاعة لا تعني إقرار الظلم، ولا تعارض بين النصح ولو بلغ حد الإغلاظ وبين السمع والطاعة، والمظاهرات قد تكون مطلوبة إن بلغ الظلم مداه، ولا يصح وصف من عبر عن رأيه في مسيرة أو اعتصام بأنه يثير الفتنة.

وإبداء الرأي بكل الوسائل لا يعني الخروج على الحاكم، فقد يخلط البعض بين وجوب السمع والطاعة والخروج على الحكام المسلمين، فهذا خلط بين المشروع والممنوع وتحميل الشرع ما لم يحتمله أو يقره، فدائرة النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مضادة لدائرة الخروج على الحاكم، فالأصل وجوب النصح، والأصل هنا حرمة الخروج، ولذا عني الفقهاء بالأصل الأول فوسعوا فيه توسعة كبيرة جداً، وضيقوا في الثاني تضييقاً كبيراً جداً، وهذا فهمهم من الأحاديث الصريحة في التوسعة أو التضييق، فلم يجيزوا الخروج على الحكام إلا بتحقق شرطين متلازمين:

الأول: تعطيل شرع الله، وظهور الكفر البواح الذي قام عليه الدليل والبرهان.

الثاني: القدرة على إقامة الشرع ومحو الكفر وإزالة من أمر به إذا لم يؤد ذلك إلى شر وفتنه أعظم.

٢- حب الوطن من الإيمان :

الإنسان مدني بطبعه، ينزع بفطرته إلى العيش ضمن جماعة يتفاعل معها ويتأثر بما حوله ومن حوله فينشأ عن ذلك ألوان من المواقف والخبرات الاجتماعية.

وليس ذلك خاصاً ببني البشر فقط فإن الحيوان بفطرته وغريزته ومنذ ولادته نجد أنه ينتمي ويلتصق مع والدته، ثم يتبع أمَّه وأباه، ثم المكان والموطن الذي يعيش فيه.

حب الوطن أمر فطري جاءت به الشريعة وأكدت عليه ، يقول الله عزّ وجلّ: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ [النساء:٦٦]، فجعل سبحانَه الإخراجَ مِن الدّيار بإزاءِ القتل، وهو بمفهومِه أنَّ الإبقاءَ في الديار عديلُ الحياةِ، ويقول سبحانه: وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا [البقرة:٢٤٦].

حينما نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء وانطلقت خَدِيجَةُ برسول الله حَتَى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أسد بْنِ عَبْدِ الْعُزَى ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ ، أخي أبيها . وَكَانَ امرأ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ . وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ . فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : أي عَمِّ اسْمَعْ مِن ابْنِ أخيك . قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ : يَا ابْنَ أخي مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَأَهُ . فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسى صلى الله عليه وسلم ، يَالَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ، يَالَيْتَنِي أكون حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ . قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أو مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ قَالَ وَرَقَةُ : نَعَمْ ، لَمْ يأت رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنصرك نَصْرًا مُؤَزَّرًا.أخرجه أحمد ١٥٣/٦ و"البُخَارِي" ٣/١ و"مسلم" ٩٧/١ و٩٨.

قال العراقي تعليقاً على ذلك ، قال السهيلي : في هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقته على النفس فإنه قال له لتكذبنه فلم يقل شيئا ثم قال ولتؤذينه فلم يقل له شيئا ثم قال ولتخرجنه فقال أو مخرجي هم قال وأيضا فإنه حرم الله وجوار بيته وبلدة أبيه إسماعيل فلذلك تحركت نفسه عند ذكر الخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك قال والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه وذلك أن الواو ترد إلى الكلام المتقدم وتشعر المخاطب بأن الاستفهام على جهة الإنكار أو التكلف لكلامه والتألم منه انتهى . العراقي : طرح التثريب ١٨٥/٤.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِمَكَّةَ مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَىَّ وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِى أَخْرَجُونِى مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ.أخرجه الترمذي (٣٩٢٦) والحاكم (٦٦١/١ ، رقم ١٧٨٧) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي في شعب الإيمان (٤٤٣/٣ ، رقم ٤٠١٣) .

وفي حَدِيثِ أُصَيْلٍ الْغِفَارِيّ وَيُقَالُ فِيهِ الْهُدَلِيّ أَنّهُ قَدِمَ مِنْ مَكّةَ ، فَسَأَلْته عَائِشَةُ كَيْفَ تَرَكْت مَكّةَ يَا أُصَيْلُ ؟ فَقَالَ تَرَكْتهَا حِينَ ابْيَضّتْ أَبَاطِحُهَا ، وَأَحْجَن ثُمَامُهَا ، وَأَغْدَقَ إذْخِرهَا ، وَأَمْشَرَ سَلَمُهَا ، فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللّهِ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – وَقَالَ " لَا تُشَوّقْنَا يَا أُصَيْلُ " ، وَيُرْوَى أَنّهُ قَالَ لَهُ " دَعْ الْقُلُوبَ تَقَرْ ". السهيلي : الروض الأنف ٣٣/٣ ، ابن حجر : الإصابة (٩٢/١).

وقال الجاحظ : " إذا كان الطائر يحنُّ إلى أوكاره، فالإنسان أحقُّ بالحنين إلى أوطانه.وقال آخر: ميلك إلى مولدك من كرم محتدك.وقال آخر: عسرك في دارك أعز لك من يُسرك في غربتك ، وأنشد:

لقربُ الدار في الإقتار خيرٌ * * * من العيش الموسَّع في اغترابِ

وقال الأصمعي سمعت أعرابيا يقول إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه وشوقه إلى إخوانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه.

وقيل لبعض الحكماء: ما الغِبطة؟ قال: الكفايةُ ولزوم الأوطانِ والجلوس مع

الإخوان، قيل: فما الذّلّة؟ قال: النزوحُ عن الأوطانِ والتنقّلُ بين البلدان.

قال الشاعر:

بلاد ألفناها على كل حالة * * * وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسنِ

وتستعذب الأرض التي لا هواؤها * * * ولا ماؤها عذب ولكنها وطنِ

وعن علي كرّم اللّه وجهه: عمرت الدنيا بحب الأوطان. وعن إبراهيم بن أدهم رضه أنه قال: ما عالجت شيئاً أشدّ من منازعة النفس للوطن. وقال عبد الملك بن قريب الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحببه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه.ابن شداد :الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة ٣/١.

قال الشاعر:

وطني وما زال الحنين يَرُدُّني * * * طفلا بحبك ما بلغت فطاما

أنا كلما رمت السُلُوَّ رأيتني * * * أزداد فيك محبة وهياما

وطني إذا عددت للنِّعم التي * * * أعطيتها لم أحصها أرقاما

فحب الوطن من الإيمان والحفاظ عليه واجب شرعي ، والتخريب فيه والاعتداء عليه أمر قد حرمه الشرع قال تعالى : " وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) سورة الأعراف .

ولا يجوز اتهام كل من يسعى إلى إصلاح الوطن بالخيانة والعمالة ، والتآمر على أمنه واستقراره .

إن من واجب الأبناء نحو أمتهم أن يبروها ويخدموها ويطيعوها، وأن يستجيبوا لها عندما تدعوهم ليرفعوا شأنها ويصنعوا مجدها ورقيها وازدهارها بكل صدق وإخلاص وتفان.

قال حافظ إبراهيم :

لعمرك ما أرقت لغير مصر * * * ومالي دونها أمل يرامُ

فأقلق مضجعي ما بات فيها * * * وما باتت عليه، فهل ألامُ؟

٣- شكر الله تعالى على نعمة الأمن :

الأمن من نعم الله سبحانه وتعالى أمتنه الله سبحانه وتعالى على البشرية وأمتنه على قريش ، قال تعالى : " لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤) سورة قريش .

فامْتنَّ اللهُ تعالى علَى أهلِ مكةَ بهاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ، اللَّتَيْنِ تَقَرُّ بهما العَيْنُ، الإطعام بعد الجوع والأمن بعد الخوف، كما امْتنَّ تعالى على أهلِ سبأ بالرِّزق الحلالِ، والأمنِ في الأيامِ واللَّيالي، فقالَ :" لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وشِمَالٍ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ، ورَبٌّ غَفُورٌ (١٥) سورة سبأ، وقالَ في الأمانِ: " وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى التي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وأيَّاماً آمِنِينَ (١٨) سورة سبأ.

فلا قيمة للحياة بدون أمن ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الأَنْصَارِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا. أخرجه "البُخَارِي" ، في "الأدب المفرد"٣٠٠ و"ابن ماجة"٤١٤١ و"التِّرمِذي" ٢٣٤٦ السلسلة الصحيحة " ٥ / ٤٠٨ .

فبالأمن والإيمان تتوحَّد النفوس ، وتزدهر الحياة ، وتغدق الأرزاق ، ويتعارف الناس ، وتتلقى العلوم من منابعها الصافية ، ويزداد الحبل الوثيق بين الأمة وعلمائها ، وتتوثق الروابط بين أفراد المجتمع ، وتتوحَّد الكلمة ، ويأنس الجميع ، ويتبادل الناس المنافع ، وتقام الشعائر بطمأنينة ، وتقام حدود الله في أرض الله على عباد الله. وباختلال الأمن تعاق سبل الدعوة ، وينضب وصول الخير إلى الآخرين ، وينقطع تحصيل العلم وملازمة العلماء ،

ولا توصل الأرحام ، ويئنُ المريض فلا دواء ، ولا طبيب ، فتختل المعايش ، وتهجر الديار ، وتفارق الأوطان ، وتتفرق الأُسر ، وتنقض عهود ومواثيق ، وتبور التجارة ، ويتعسر طلب الرزق ، وتتبدل طباع الخلق ، فيظهر الكذب ، ويلقى الشحّ ، ويبادر إلى تصديق الخبر المخوف ، وتكذيب خبر الأمن ، وباختلال الأمن تقتل نفوس بريئة ، وترمّل نساء ، ويتيم أطفال . وإذا سلبت نعمة الأمن فشا الجهل ، وشاع الظلم ، وسُلبت الممتلكات.

إن الديار التي يفقد فيها الأمن تعد صحراء قاحلة حرّى وإن كانت ذات جنات وارفة الظلال تجري من تحتها الأنهار والبلاد التي تنعم بالأمن تهدأ فيها النفوس وتطمئن فيها القلوب وإن كانت قاحلة جرداء ليس فيها من الغذاء ما يسد الرمق ومن الماء ما يروي الظمأ.

إن البلاد التي يفقد فيها الأمن كالسماء إذا فقدت نجومها وكالأرض إذا زالت جبالها الراسيات وكالسهول إذا فقدت أنهارها وغارت عيونها وذوى نباتها ويبست أشجارها.

وتحقيق نعمة الأمن يتطلب أمرين مهمين : أولهما : الاستقامة على منهج الله تعالى ، وتحقيق المعنى الحقيقي من الاستخلاف في الأرض ، بحسن الإيمان بالله تعالى والارتباط الوثيق بين الإيمان والعمل الصالح ، قال تعالى " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) **سورة الأحقاف** .

وقال: " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) **سورة النور** .

قال الشاعر :

إذا الإيمان ضاع فلا أمان * ولا دنيا لمن لم يُحيي دينا**

ومن رضي الحياة بغير دين * فقد جعل الفناء لها قرينا**

وثانيهما : العدل الاجتماعي والابتعاد عن كل صنوف الظلم وصوره ، قال تعالى : " الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢) **سورة الأنعام.**

قال الرازي : " إنه تعالى شرط في الإيمان الموجب للأمن عدم الظلم ، ولو كان ترك الظلم أحد أجزاء مسمى الإيمان لكان هذا التقييد عبثاً" . **تفسير الرازي ٣٥٧/٦.**

فالله تعالى لا يرفع شأن أمة ولا يعطيها نعمة الأمن والأمان إلا إذا أخذ حق الضعيف ممن استضعفه ، عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ:جَاءَ أعرابي إِلَى النبي صلى الله عليه وسلم يَتَقَاضَاهُ دَيْنًا كَانَ عَلَيْهِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ لَهُ أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِلاَّ قَضَيْتَنِى فَانْتَهَرَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا وَيْحَكَ تَدْرِى مَنْ تُكَلِّمُ قَالَ إِنِّى أَطْلُبُ حَقِّى فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم هَلاَّ مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فَقَالَ لَهَا إِنْ كَانَ عِنْدَكِ تَمْرٌ فَأَقْرِضِينَا حَتَّى يَأْتِينَا تَمْرٌ فَنَقْضِيَكِ فَقَالَتْ نَعَمْ بِأَبِى أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَأَقْرَضَتْهُ فَقَضَى الأعرابي وَأَطْعَمَهُ فَقَالَ أَوْفَيْتَ أَوْفَى اللَّهُ لَكَ فَقَالَ أُولَئِكَ خِيَارُ النَّاسِ إِنَّهُ لاَ قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لاَ يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ. **أخرجه ابن ماجة (٢٤٢٦) رقم : ١٨٥٧ في صحيح الجامع .**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ أَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مَالِهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ ، قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ حِينَ لا يَكُونُ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ. **أخرجه أحمد ٤٣٥/٢(٩٦١٣) .**

فمع توالي الأحداث في تونس ومصر أحس الناس بمدى أهمية نعمة الأمن في حياتهم وذلك حينما سلبت هذه النعمة منهم لبعض الوقت ، وصار كل منهم يحرس نفسه بنفسه ، وصارت اللجان الشعبية هي التي تسير الأمور .

٤- صفحة جديدة مع الشباب :

الشباب هم قادة الغد وأمل المستقبل وعلي أكتافهم تقام حضارات ، وترفع أمجاد ، ولقد اهتم الإسلام بالشباب اهتماما جادا ووجه حميتهم توجيها سديدا ، فلقد قرن القرآن الكريم بين الفتوة والإيمان بالله تعالى ليؤكد على أهمية أن تكون مرحلة الشباب مرحلة طاعة والتزام لا مرحلة معاصي وانفلات ، قال سبحانه يضرب لنا المثل والقدوة بقصة أصحاب الكهف : " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) سورة الكهف .

وذكر لنا النبي صلى الله عليه وسلم من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة : " وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ " .

ولقد كان أول من آمن برسول الله بعد زوجه خديجة علي بن أبي طالب وكان صبيا صغيرا نام في فراش رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الهجرة وهو يعلم انه مقتول لا محالة، ثم أبو بكر الصديق الذي أسلم في عمر الثامنة والثلاثين وأنفق ماله كله في سبيل الدعوة الإسلامية ، وعمر بن الخطاب الذي كانت قريش توفده إلي القبائل الأخرى للتباحث معها أسلم في السادسة والعشرين وكان إسلامه فتحا ونصرا ، وهاهو سعد بن أبي وقاص الذي رمي أول سهم في الإسلام أسلم وعمره سبعة عشر عاما وكان رسول الله صلي الله عليه و سلم يقول له: فداك أبي وأمي أرم أيها الغلام الحذور، ثم الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله صفية الذي أسلم وعمره ستة عشر عاما الذي قال فيه رسول الله صلي الله عليه و سلم : إن لكل نبي حواريا وحواريي الزبير، ورفيق الزبير طلحة بن عبيد الله الذي أسلم في السابعة عشرة وكان من أشد المدافعين عن رسول الله في أحد والذي سماه رسول

الله بطلحة الفياض أو طلحة الخير، ثم عبد الرحمن بن عوف في الثلاثين ، وأبو عبيدة بن الجراح في الثانية والثلاثين ، ومن ينسي أسامة بن زيد الذي خرج رسول اله صلي الله عليه وسلم وهو في مرض الموت بعد أن أكثر المنافقون في الاعتراض علي قيادته للجيش وهو دون العشرين.

قال الشاعر :

أهدي الشباب تحية الإكبار * * * هم كنزنا الغالي و ذخر الدار

ما كان أصحاب النبي محمد * * * إلا شبابا شامخ الأفكار

يا شباب الدين يا حصن العلا * * * أهديك حب الحب في الأشعار

من يجعل الإيمان رائد يفز * * * بكرامة الدنيا و عقبى الدار

فمرحلة الشباب نعمة من نعم الله تعالى ، روى البخاري وأحمد عَنِ عبد الله بنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم : « نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ. أخرجه أحمد ٢٥٨/١(٢٣٤٠) و"البُخَارِي" ١٠٩/٨(٦٤١٢).

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعاهد الشباب دائما بالنصح والتوجيه ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ:كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ، صلى الله عليه وسلم ، يَوْمًا فَقَالَ : يَا غُلَامُ ، إني أعلمك كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إذا سَأَلْتَ ، فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأمة لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بشيء ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بشيء قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بشيء ، لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بشيء قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الاقْلَامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ. أخرجه أحمد ٢٩٣/١(٢٦٦٩) والتِّرْمِذِيّ" ٢٥١٦.

وعَنْ عَلْقَمَةَ ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ عَبْدِ الله بِمِنىً، فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ، فَقَامَ مَعَهُ يُحَدِّثُهُ. فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمٰن أَلا نُزَوِّجُكَ جَارِيَةً شَابَّةً، لَعَلَّهَا تُذَكِّرُكَ بَعْضَ مَا مَضَىٰ مِنْ زَمَانِكَ. قَالَ فَقَالَ عَبْدُ الله: لَئِنْ قُلْتَ ذَاكَ، لَقَدْ قَالَ لَنَا رَسُولُ الله : «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ

أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِيعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ». رواه البخاري ومسلم.

بل كان صلى الله عليه وسلم يقدرهم وينزل على رأيهم ، كما فعل في غزوة أُحد ، حينما تحمس الشباب لملاقاة العدو خارج المدينة وليس انتظارهم على مداخلها كما أشار الشيوخ.

وعلى هذا النهج سار الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، يقول ابن شهاب الزهري يقول: لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان، واستشارهم يبتغي حدة عقولهم. جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (رقم ٥٠٥، ٥٠٦).

وشتان شتان بين شباب تربى على المثل والمبادئ والقيم النبيلة وبين شباب تربى على الأغاني واللهو .

قال الشاعر :

أُنظر إلى بعض الشبابِ فإنك * * * ستراهُ في قيد الغناءِ أسيرا

إنَّ الذي أَلِفَ الغناءَ لسانُهُ * * * لا يعرفُ التهليلا و التكبيرا

لا بينَ للقرآن في قلبٍ إذا * * * سكن الغناءُ به و صار أميرا

وشباب مصر الذي قام بثورة التغيير المباركة ، هم شباب وعى حاضره واستشرف آمال مستقبله ، فسعى إلى تحقيق هذا الأمل بوعي وفهم وحب لوطنه وحرص على أمنه وسلامته .

قل للشباب اليوم بورك غرسكم * * * دنت القطوف وذللت تذليلا

ولقد رأينا كيف حرك الشباب الأمل في قلوبنا جميعا ، كما رأينا كيف أن الشباب هم من كونوا اللجان الشعبية لحماية الممتلكات العامة والخاصة في صورة تندر أن تراها في بعض البلدان ، مما جعل الناس يغيرون نظرتهم إلى الشباب وينظرون إليه نظرة جديدة ملؤها الفخر والإعجاب والتقدير .

٥- إذا صلح الرأس صلح الجسد :

الإمام العادل هو الذي يقود سفينة الحياة إلى طريق أفضل، هو الذي يخلصها من الأمواج المتضاربة، والأزمات المدلهمة إن العدل هو الذي يفرض على من يتولى أمراً من أمور المسلمين أن لا يولي على أمورهم إلا كفؤاً ، يسعى إلى إقامة الدين بجميع شعائره، ويعمل على تجنيب الأمة الفتن ، ويحيطها بالنصح ، فهو الرأس فيها وإذا صلح الرأس صلح الجسد ، والناس تقتدي به كما تقتدي بالأنبياء المرسلين ، قال تعالى : وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١) سورة هود .

وقال : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) سورة الممتحنة.

وقال : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)سورة الأحزاب .

كما أنه القاضي الذي مهمته إقامة العدل ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ ، اثْنَانِ فِي النَّارِ ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ : رَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ ، فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ ، فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ جَارَ فِي الْحُكْمِ ، فَهُوَ فِي النَّارِ. أخرجه أبو داود (٣٥٧٣) و"ابن ماجة" ٢٣١٥ والتِّرْمِذِيّ" ١٣٢٢ و"النَّسائي" ، في "الكبرى" ٥٨٩١ .

وعليه أن يكون قدوة لكل من حوله، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبة الخلافة : " أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي ، وَإِنْ أَسَأْت فَقَوّمُونِي ، الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ

وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ إنْ شَاءَ اللّهُ وَالْقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الْحَقّ مِنْهُ إنْ شَاءَ اللّهُ لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ إلّا ضَرَبَهُمْ اللّهُ بِالذّلّ وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ إلّا عَمّهُمْ اللّهُ بِالْبَلَاءِ أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِذَا عَصَيْت اللّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ . قُومُوا إلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمْكُمْ اللّهُ " . السهيلي : الروض الأنف ٤/٤٥٠.

عن مخلد بن قيس العجليّ، عن أبيه، قال: لمّا قدم سيف كسرى و منطقته وزبرجدته على عمر، فقال: إنّ أقواماً أدّوا هذا لذووا أمانة. فقال عليّ: إنك عففت فعفّت الرّعيّة.ابن عساكر : مختصر تاريخ دمشق ٦/٣٩.

وفي سنة سبع عشرة جيء إلى عمر بالهرمزان ملك الأهواز أسيرا ومعه وفد فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس فلما وصلوا به إلى المدينة ألبسوه كسوته من الديباج المذهب ووضعوا على رأسه تاجه وهو مكلل بالياقوت ليراه عمر والمسلمون على هيئته التي يكون عليها في ملكه فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل هو في المسجد فأتوه فإذا هو نائم فجلسوا دونه فقال الهرمزان أين هو عمر قالوا هو ذا قال فأين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب فنظر الهرمزان إلى عمر وقال عدلت فأمنت فنمت. الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ١/٨٤.

وكتب عامل حمص إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت إلى الإصلاح فكتب إليه عمر: حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور، والسلام. الطرطوشي : سراج الملوك ٤١٢.

قال حافظ إبراهيم :

و راع صاحب كسرى أن رأى عمرا **** بين الرعية عطلا و هو راعيها
و عهده بملوك الفرس أن لها **** سورا من الجند و الأحراس يحميها
رآه مستغرقا في نومه فرأى **** فيه الجلالة في أسمى معانيها
فوق الثرى تحت ظل الدوم مشتملا **** ببردة كاد طول العهد يبليها
فهان في عينه ما كان يكبره **** من الأكاسر والدنيا بأيديها

و قال قولة حق أصبحت مثلا ** و أصبح الجبل بعد الجبل يرويها**
أمنت لما أقمت العدل بينهم ** فنمت نوم قرير العين هانيها**

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل من عماله: قد كثر شاكوك، وقل شاكروك، فإما عَدَ لْتَ، وإما اعتزلت، والسلام. شذرات الذهب ٣١١/١.

وقد ثبت في مسند الإمام أحمد :أن الحبة من القمح كانت في عهد عمر بن عبد العزيز كرأس الثوم.

ولما قيل له : إن الخيرات كثرت ونطلب من نعطيه الصدقة فلا نجد ، فقال : اشتروا أرقاء وأعتقوهم واجعلوا ولاءهم لبيت المال.

وقد ثبت في حلية الأولياء أن : بعض التابعين مرّ على راعٍ يرعى الغنم فوجد عنده ما يزيد على ثلاثين كلباً ، فقال له : ما تفعل بهذه الكلاب ؟ وواحد يكفي !! فقال : سبحان الله ، ألا تعلم أن هذه ذئاب وليست كلاب : فقال : ومتى اصطلح الذئب مع الشاة ، فقال الراعي : " إذا صلح الرأس فما على الجسد بأس" إذن إذا عدل أمير المؤمنين واتقى الله فإن الله يحول بين المخلوقات وبين الظلم.

روى أولوا التاريخ أن البهائم كانت في عهد عمر بن عبد العزيز ترعى في مرعى واحد، لايعدي الذئب على الغنم ولا الأسد على البقر، ففي ليلة عدى ذئب على غنم، فقال الراعي: " إنا لله، ما أرى الرجل الصالح إلا هلك"، فنظروا فإذا هو مات في تلك الليلة. البداية والنهاية (٢٠٣/٩).

قال الشاعر :

وَالبَيتُ لا يُبتَنى إِلّا لَهُ عَمَدٌ * وَلا عِمادَ إِذا لَم تُرسَ أَوتادُ**
فَإِن تَجَمَّعَ أَوتادٌ وَأَعمِدَةٌ * وَساكِنٌ بَلَغوا الأَمرَ الَّذي كادوا**
وَإِن تَجَمَّعَ أَقوامٌ ذَوو حَسَبٍ * اِصطادَ أَمرَهُمُ بِالرُشدِ مُصطادُ**
لا يَصلُحُ الناسُ فَوضى لا سَراةَ لَهُم * وَلا سَراةَ إِذا جُهّالُهُم سادوا**
تُلفى الأُمورُ بِأَهلِ الرُشدِ ما صَلَحَت * فَإِن تَوَلَّوا فَبِالأَشرارِ تَنقادُ**

كان عمر إذا دخل بيته يخدم أهله كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يفعل، جاءت امرأة من العراق فدخلت على زوجته فاطمة، فجاء عمر فأقبل حتى دخل الدار، فمال إلى بئر في ناحية الدار، فانتزع منها دلاء صبَّها على طين، كان بحضرة البيت، وكان يكثر النظر إلى فاطمة فقالت لها المرأة استتري من هذا الطيان فإني أراه يديم النظر إليك فقالت: ليس هو بطيان هو أمير المؤمنين. ابن عبد الحكم سيرة عمر ص١٤٩.

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن رحمه الله: اعلم يا أمير المؤمنين، أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقر. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً؛ يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرها، ووضعته كرها، وربته طفلاً تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته. والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد بفساده والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم. فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله عز وجل كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال وشرد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث

والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها! وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم! واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك، يسلمونك في قعره فريداً وحيداً. فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه واذكر يا أمير المؤمنين " إذا بعثر ما في القبور. وحصل ما في الصدور " ، فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فالآن يا أمير المؤمنين وأنت مهل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل. لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين؛ فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فتبوء بأوزارك مع أوزارك، وتحمل أثقالك مع أثقالك. ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك. و لا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم. إني يا أمير المؤمنين، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهي من قبلي، فلم آلك شفقة ونصحاً، فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة. والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. **انظر : العقد الفريد لابن عبد ربه ص ٩.**

يُحكى أنّ رجلاً كانَ يُريدُ أنْ يخرجَ إلى المعركةِ فيُقاتلَ عدوَّهُ، ولكنه وَجدَ ابنَه في صفوفِ المقاتلينَ فقال لهُ : آثِرْني بالخروجِ وأقِمْ مع نسائِكَ، فأبي الرجلُ وقالَ :لو كانَ غيرَ الجنةِ آثرتُكَ بهِ !!.

٦- تخير لنفسك البطانة الصالحة :

نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة بطانة السوء قال تعالى : " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) سورة آل عمران.

والبطانة خاصة الرجل الذين يطلعهم على الباطن من أمره .معاني القرآن للنحاس ٤٦٥.

وهو نهي عام يشمل الحكام وغير الحكام ، فهناك بطانة الرجل الخاص به كالزوجة والأصدقاء ، وعليه أن يحسن اختيارهم ، فإذا اختار الزوجة الصالحة كانت نعم المعين الصالح له على طاعة الله تعالى ، وإذا اختار الزوجة السيئة كانت سبباً في هلاكه وهلاك أبناءه ، فالمرء على ما تعود ، قال الشاعر :

مشى الطاووس يوما باختيال *** فقلد شكل مشيته بنوه
فقال علام تختالون؟ قالوا *** بدأت به ونحن مقلدوه
فخالف سيرك المعوج واعدل *** فإنا إن عدلت معدلوه
أما تدري أبانا كل فرع *** يجاري بالخطى من أدبوه
وينشأ ناشئ الفتيان منا *** على ما كان عوده أبوه

وقال آخر :

نُبِّئْتُ أن سليمانَ الزمانِ ومَنْ * * * أصبى الطيورَ فناجَتْه وناجاها
أعطى بلابلَه يوماً يؤدبُها * * * لحكمةٍ عنده للبُومِ يَرعاها
فاشتاق يوماً من الأيام رؤيتَها * * * فأقبلَتْ وهي أعصى الطيرِ أفواها
فنال سيدَها مِنْ دائها غضَبٌ * * * وودَّ لو أنه بالذبح داواها
فجاءه الهدهدُ المعهودُ معتذراً * * * عنها يقول لمولاه ومولاها
بلابلُ اللهِ لم تَخرَسْ ولا وُلدَتْ * * * خُرساً ولكنّ بومَ الشؤمِ رباها

كانت هناك أم لديها ابن صغير وكان هذا الابن قد تعود السرقة وفي ذات يوم أحضر إلى أمة بيضة ، وما كان جواب تلك الأم المربية إلا أنها قالت له: أحسنت يا ولدي كيف استطعت أن تسرق بهذه السهولة فكأن الأم تشجعه على ما فعل ففرح ذاك الابن حتى في اليوم التالي جاء بدجاجة ففرحت تلك الأم وشجعته على فعله وما مكث أياماً حتى تجرأ أن يسرق بيت السلطان أو الحاكم ولكن لم يمهله الله سبحانه وتعالى في هذه المرة حتى تمكنوا منه وامسكوا به وحكم السلطان علية بالإعدام ، فلما أخذوه إلى خشبة المشنقة وقبل أن يشنق قال اطلب منكم طلباً قالوا له : اطلب قال عليكم أن تحضروا أمي ، ولما جاؤا بأمه قال لها : أماه أريد أن أقبل لسانك قبل أن ارحل عن هذه الدنيا فمدت تلك الأم لسانها ،فقام بعضها حتى قطع لسانها ، وقال لو كانت أمي تمنعني من السرقة ما وصلت إلى خشبة المشنقة.

هذا على المستوى الشخصي أما على المستوى العام فهناك الحكام والولاة ، الذين يجب عليهم أن يجمعوا حولهم بطانة الخير والحق ، فالسعيد من رزق مع الولاية البطانة الصالحة التي تذكره إذا نسي وتعينه على الخير وتنهاه عن الشر ، عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةٌ إِلاَّ لَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ. **أخرجه أحمد ٣/٣٩(١١٣٦٢) و"البُخَارِي" ٨/١٥٦(٦٦١١).**

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « إذا أراد الله بالأمير خيرًا جعل له وزير صدق ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ، إن نسي لم يذكره ، وإن ذكر لم يعنه . **رواه أبو داود في : ، (٨/١٥٠) عون المعبود . قال الشارح : (والحديث سكت عنه المنذري) . ورواه النسائي ٣٣ ، وأحمد (٦/٧٠).**

أحد أسباب تمادي الظلمة في ظلمهم هو بطانة السوء وإعانة بعض الرعية

الظالم على ظلمه. قال تعالى عن قوم فرعون: " فاستَخَفّ قومَهُ فأطاعوهُ إنهم كانوا قوما فاسقين " (٢٦) سورة الزخرف.

قيل إن فرعون قال للناس أنا ربكم ، يقصد سيدكم ومولاكم ، وصاحب النعم عليكم ، كما يقال : رب المنزل ؛ أي صاحبه ، لكنهم سجدوا له فقال : أنا ربكم الأعلى .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من ولي من أمر المسلمين شيئًا فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما ، فقد خان الله ورسوله والمسلمين . السياسة الشرعية (ص ٧) .

وكتب أحدهم إلى أحد الأمراء : " وشاور في أمرك الذين يخافون الله تعالى، واحذر بطانة السوء. فإنهم إنما يريدون دراهمك ويقرّبون من النار لحمك ودمك.ترتيب المدارك ٣٦/٣.

قال الشاعر :

صبحت في أمة أوترت معظمها * * * بهيمة الله بين الذيب والنمر

تسدد الرأي معصوما فتنقضه * * * بطانة السوء مركوسا إلى الحفر

فالبطانة الصالحة تواجه الحاكم والمسؤول بأخطائه ، ولا تجامله في الحق ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ ، أَنْ تَقُولَ لَهُ : إِنَّكَ أَنْتَ ظَالِمٌ، فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ. أخرجه أحمد ١٦٣/٢(٦٥٢١) رقم: ٥٠١ في ضعيف الجامع .

عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا ، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا.أخرجه "أحمد" ٢٦٨/٤ (١٨٥٥١) و"البُخَارِي" ١٨٢/٣(٢٤٩٣) و"التِّرمِذي"٢١٧٣ .

قال الإمام سفيان الثوري: لما حج المهدي قال: لا بد لي من سفيان، فوضعوا

لي الرصد حول البيت، فأخذوني بالليل. فلما مثلت بين يديه قال لي: لأي شيء لا تأتينا فنستشيرك في أمرنا؟ فما أمرتنا من شيء صرنا إليه وما نهيتنا عن شيء انتهينا عنه.فقلت له: كم أنفقت في سفرك هذا؟.قال: لا أدري، لي أمناء ووكلاء.قلت: فما عذرك غدا إذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك؟ لكنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حج قال لغلامه كم أنفقت في سفرنا هذا؟.قال: يا أمير المؤمنين ثمانية عشر دينارا.فقال: ويحك أجحفنا بيت مال المسلمين.وقد علمت ما حدثنا به منصور عن الأسود بن علقمة عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" ربّ متخوّض في مال الله ومال رسوله فيما شاءت نفسه له النار غدا"، فيقول أبو عبيد الكاتب: أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا؟.فيجيبه سفيان بقوة المؤمن وعزة المسلم: اسكت، إنما أهلك فرعون هامان . وفيات الأعيان ٣/ ٣٨٧ .

قال الشاعر :

مازال فينا ألوف من بني سبأ *** يؤذون أهل التقى بغيا وعدوانا

مازال لابن سلول شيعة كثروا *** أضحى النفاق لهم سمتا وعنوانا

كان مالك بن دينار يقول : " لا يتفق اثنان في عِشرة إلا وفي أحدهما وصفٌ من الآخر ، وإن أجناس الناس كأجناس الطير ، ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة . قال : فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك ، فقال : اتفقا وليسا من شكل واحد ، ثم طارا فإذا هما أعرجان ، فقال : من ها هنا اتفقا " .

قال تعالى : "الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) سورة الزخرف، عن قتادة عن أبي إسحاق أن عليًا قال في هذه الآية: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين فقال: يا رب إن فلانًا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملاقيك، يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني، فإذا

مات خليله المؤمن جمع بينهما، فيقول: ليثن أحدكما على صاحبه، فيقول: نعم الأخ، ونعم الخليل، ونعم الصاحب، قال: ويموت أحد الكافرين، فيقول: يا رب إن فلانًا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، فيقول بئس الأخ، وبئس الخليل، وبئس الصاحب. أخرجه الطبري: ٢٥ / ٩٤، وعبد الرزاق في التفسير: ٣ / ١٩٩-٢٠٠.

وقد قال بعض الحكماء : كل إنسان يأنس إلى شكله ؛ كما أن كل طير يطير مع جنسه ، وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يتفرقا ، وهذا معنى خفي فطن له الشعراء حتى قال قائلهم :

وقائل كيف تفارقتما * * * فقلت قولا فيه إنصاف

لم يك من شكلي ففارقته * * * والناس أشكال وآلاف

وذات مرة وهو عائد إلى بيته إذا بامرأة حامل رأت عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمامها من رهبته وخشيته أجهضت ما في بطنها فبلغ عمر فصعد على المنبر وقال أيها الناس بينما أنا سائر في الطريق أجهضت امرأة عندما رأتني هل على غرة؟ قال بعض الناس يا أمير المؤمنين امرأة تخاف فيسقط ما في بطنها لا ذنب له ..لكن عليا يقول يا أمير المؤمنين إن كانوا قد نصحوك فقد غشوك ويوم القيامة لن ينفعوك عليك غرة فدفعها عمر رضي الله عنه.

عن عبيدة قال جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر فقالا : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عندنا أرضا سبخة ليس فيها كلاء ولا منفعة ، فإذا رأيت أن تقطعناها ؟ لعلنا نحرثها ونزرعها فاقطعها إياهما ، وكتب لها عليه كتابا ، واشهد فيه عمر وليس في القوم ، فانطلقا إلى عمر ليشهداه ، فلما سمع عمر ما في الكتاب تناوله من أيديهما ، ثم تفل فيه ومحاه فتذمرا ، وقالا : مقالة سيئة ، قال عمر : إن رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل ، وان الله قد أعز الإسلام ، فاذهبا فأجهدا جهدكما لا أرعى الله عليكما أن رعيتما ، فأقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمران ، فقالا : والله ما ندري أنت الخليفة أم عمر ؟ فقال : بل هو ، ولو شاء كان ، فجاء عمر مغضبا حتى وقف على أبي بكر ، فقال : أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتها هذين الرجلين ، أرض هي لك خاصة أم هي بين المسلمين عامة ؟ قال : بل هي بين المسلمين عامة ، قال : فما حملك أن تخص هذين بها دون جماعة المسلمين ؟ قال : استشرت هؤلاء الذين حولي ، فأشاروا علي بذلك ، قال : فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك ؟ أو كل المسلمين أوسعت مشورة ورضا ؟ فقال أبو بكر : قد كنت قلت لك إنك أقوى على هذا مني ، ولكنك غلبتني. **أدب الدنيا والدين ص ١٤٣.**

بعد تولي الخليفة أبو جعفر المنصور الخلافة وتحويلها إلى سلطويه كسرويه أو كما قال احد كبار الصحابة لمعاوية بن أبي سفيان من قبل بل تريدوها قيصريه كلما مات قيصر جاء آخر المهم كان العالم الإسلامي في حيره من أمره فالمسلمون في أعناقهم بيعه لمحمد بن عبد الله الحسن (النفس الذكية) وحتى أبو جعفر المنصور ذاته كان قد بايع النفس الذكية والذي كانت تؤيده المعتزلة بقياده عمرو بن عبيد وهنا حدثتا المواجهة بين الأستاذ والتلميذ بين أبو جعفر المنصور والزاهد العابد عمرو بن عبيد وفي إحدى لقاءاتهما دار حوار يطلب فيه أبو جعفر المنصور من عمرو أن يساعده هو ورجاله من المعتزلة في شئون الحكم فيرد عليه عمرو بن عبيد احكم بالعدل يتبعك أهله فيقول له أبو جعفر هذا خاتمي افعل ما تشاء اصدر أحكام ما تشاء فيقول له : لا استطيع وهواء الشياطين يحكمون بدلا منك (يقصد جند خراسان من الشعوبيين) وطلب منه عمرو ابن عبيد إلا يطلبه مره أخرى واستمر كذلك حتى توفى عمرو بن عبيد وبعد سنه واحده من وفاته قامت ثوره المعتزلة بقياده محمد بن عبد الله الحسن.

٧- الظلم ظلمات يوم القيامة :

الحاكم العادل عليه واجبات تجاه الناس لا بد أن يقوم بها ومنها :

أولاً : العدل والإحسان : قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) **سورة النحل.**

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَتَقَاضَاهُ دَيْنًا كَانَ عَلَيْهِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ لَهُ أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِلاَّ قَضَيْتَنِي فَانْتَهَرَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا وَيْحَكَ تَدْرِي مَنْ تُكَلِّمُ قَالَ إِنِّي أَطْلُبُ حَقِّي فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم هَلاَّ مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فَقَالَ لَهَا إِنْ كَانَ عِنْدَكِ تَمْرٌ فَأَقْرِضِينَا حَتَّى يَأْتِيَنَا تَمْرٌ فَنَقْضِيَكِ فَقَالَتْ نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَأَقْرَضَتْهُ فَقَضَى الأَعْرَابِيَّ وَأَطْعَمَهُ فَقَالَ أَوْفَيْتَ أَوْفَى اللَّهُ لَكَ فَقَالَ أُولَئِكَ خِيَارُ النَّاسِ إِنَّهُ لاَ قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لاَ يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ. **أخرجه ابن ماجة (٢٤٢٦) رقم : ١٨٥٧ في صحيح الجامع .**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ . وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ. **أخرجه أحمد ٤٣٩/٢(٩٦٦٣) و"البُخاري" ١٦٨/١(٦٦٠) و"مسلم" ٩٣/٣.**

فعدل الوالي دليل صلاحه وظلمه دليل فساده وهو ما حذرنا الإسلام منه بصفة عامة وحذر منه الولاة بصفة خاصة ، قال تعالى : " وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنْذِرِ

النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢) **سورة إبراهيم.**

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: اتَّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ. **أخرجه أحمد ٣/٣٢٣(١٤٥١٥) و"البُخَارِي" ، في (الأدب المفرد) ٤٨٣ و"مسلم" ٨/١٨(٦٦٦٨).**

وعَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ؛ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، أَنَّهُ قَالَ : يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ، يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ،

مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي ، إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ، يَا عِبَادِي ، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ. أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" ٤٩٠ و"مسلم" ١٦/٨(٦٦٦٤) .

عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي ، إمام ظلوم غشوم ، وكل غال مارق " . أخرجه أبو إسحاق الحربي في " غريب الحديث " (٥ / ١٣٠ / ٣) و الجرجاني في " الفوائد " (١١٣ / ١) الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٧٦٣ .

قال الشاعر :

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا * * * فَالظُّلْمُ تَرْجِعُ عُقْبَاهُ إِلَى النَّدَمِ

تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ * * * يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنِمْ

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ وَاسْتَوَوْا عَلَى أَقْدَامِهِمْ رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَقَالُوا يَا رَبِّ مَعَ مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ مَعَ الْمَظْلُومِ حَتَّى يُؤَدَّى إِلَيْهِ حَقُّهُ .

وَقِيلَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ : يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ وَرَاءِ الْجِسْرِ يَعْنِي الصِّرَاطَ يَا مَعْشَرَ الْجَبَابِرَةِ الطُّغَاةِ ، وَيَا مَعْشَرَ الْمُتْرَفِينَ الْأَشْقِيَاءِ ، إِنَّ اللَّهَ يَحْلِفُ بِعِزَّتِهِ أَنْ لَا يُجَاوِزَ هَذَا الْجِسْرَ الْيَوْمَ ظُلْمُ ظَالِمٍ .

وعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بَنَى جَبَّارٌ مِنْ الْجَبَابِرَةِ قَصْرًا وَشَيَّدَهُ فَجَاءَتْ عَجُوزٌ فَقِيرَةٌ فَبَنَتْ إِلَى جَانِبِهِ شَيْئًا تَأْوِي إِلَيْهِ ، فَرَكِبَ الْجَبَّارُ يَوْمًا وَطَافَ حَوْلَ الْقَصْرِ فَرَأَى بِنَاءَهَا ، فَقَالَ لِمَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : لِامْرَأَةٍ فَقِيرَةٍ تَأْوِي إِلَيْهِ فَأَمَرَ بِهَدْمِهِ فَهُدِمَ فَجَاءَتْ الْعَجُوزُ فَرَأَتْهُ مَهْدُومًا ، فَقَالَتْ : مَنْ هَدَمَهُ ؟ فَقِيلَ لَهَا الْمَلِكُ رَآهُ فَهَدَمَهُ ، فَرَفَعَتْ الْعَجُوزُ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَتْ يَا رَبِّ أَنَا لَمْ أَكُنْ حَاضِرَةً فَأَنْتَ أَيْنَ كُنْت ؟ قَالَ : فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جِبْرِيلَ أَنْ يَقْلِبَ

الْقَصْرَ عَلَى مَنْ فِيهِ فَقَلَبَهُ .

وَجَاءَ خَيَّاطٌ إِلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ : إِنِّي أَخِيطُ ثِيَابَ السُّلْطَانِ أَفَتَرَانِي مِنْ أَعْوَانِ الظَّلَمَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ سُفْيَانُ : بَلْ أَنْتَ مِنْ الظَّلَمَةِ أَنْفُسِهِمْ ، وَلَكِنْ أَعْوَانُ الظَّلَمَةِ مَنْ يَبِيعُ مِنْك الْإِبْرَةَ وَالْخُيُوطَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : رَأَيْت رَجُلًا مَقْطُوعَ الْيَدِ مِنْ الْكَتِفِ وَهُوَ يُنَادِي مَنْ رَآنِي فَلَا يَظْلِمَنَّ أَحَدًا ، فَتَقَدَّمْت إلَيْهِ وَقُلْت لَهُ : يَا أَخِي مَا قِصَّتُك ؟ فَقَالَ يَا أَخِي قِصَّتِي عَجِيبَةٌ ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْت مِنْ أَعْوَانِ الظَّلَمَةِ ، فَرَأَيْت يَوْمًا صَيَّادًا قَدْ اصْطَادَ سَمَكَةً كَبِيرَةً فَأَعْجَبَتْنِي ، فَجِئْت إلَيْهِ فَقُلْت : أَعْطِنِي هَذِهِ السَّمَكَةَ ، فَقَالَ لَا أُعْطِيكَهَا أَنَا آخُذُ بِثَمَنِهَا قُوتًا لِعِيَالِي ، فَضَرَبْته وَأَخَذْتهَا مِنْهُ قَهْرًا وَمَضَيْت بِهَا ، قَالَ : فَبَيْنَمَا أَنَا مَاشٍ بِهَا حَامِلَهَا إذْ عَضَّتْ عَلَى إبْهَامِي عَضَّةً قَوِيَّةً فَلَمَّا جِئْت بِهَا إلَى بَيْتِي وَأَلْقَيْتهَا مِنْ يَدِي ضَرَبَتْ عَلَيَّ إبْهَامِي وَآلَمَتْنِي أَلَمًا شَدِيدًا حَتَّى لَمْ أَنَمْ مِنْ شِدَّةِ الْوَجَعِ وَوَرِمَتْ يَدِي فَلَمَّا أَصْبَحْت أَتَيْت الطَّبِيبَ وَشَكَوْت إلَيْهِ الْأَلَمَ فَقَالَ : هَذِهِ بُدُوُّ أَكَلَةٍ اقْطَعْهَا وَإِلَّا تَلِفَتْ يَدُك كُلُّهَا فَقَطَعْت إبْهَامِي ثُمَّ ضَرَبَتْ يَدِي فَلَمْ أُطِقْ النَّوْمَ وَلَا الْقَرَارَ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ ، فَقِيلَ لِي اقْطَعْ كَفَّك فَقَطَعْتهَا وَانْتَشَرَ الْأَلَمُ إلَى السَّاعِدِ وَآلَمَنِي أَلَمًا شَدِيدًا وَلَمْ أُطِقْ النَّوْمَ وَلَا الْقَرَارَ وَجَعَلْت أَسْتَغِيثُ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ ، فَقِيلَ لِي : اقْطَعْهَا مِنْ الْمِرْفَقِ فَانْتَشَرَ الْأَلَمُ إلَى الْعَضُدِ وَضَرَبَتْ عَلَيَّ عَضُدِي أَشَدَّ مِنْ اﻟْأَلَمِ فَقِيلَ لِي : اقْطَعْ يَدَك مِنْ كَتِفِك وَإِلَّا سَرَى إلَى جَسَدِك كُلِّهِ فَقَطَعْتهَا فَقَالَ لِي بَعْضُ النَّاسِ : مَا سَبَبُ أَلَمِك فَذَكَرْت لَهُ قِصَّةَ السَّمَكَةِ ، فَقَالَ لِي : لَوْ كُنْت رَجَعْت مِنْ أَوَّلِ مَا أَصَابَك الْأَلَمُ إلَى صَاحِبِ السَّمَكَةِ فَاسْتَحْلَلْت مِنْهُ وَاسْتَرْضَيْته وَلَا قَطَعْت يَدَك ، فَاذْهَبْ الْآنَ إلَيْهِ وَاطْلُبْ رِضَاهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ الْأَلَمُ إلَى بَدَنِك .قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُهُ فِي الْبَلَدِ حَتَّى وَجَدْته فَوَقَعْت عَلَى رِجْلَيْهِ أُقَبِّلُهُمَا وَأَبْكِي وَقُلْت : يَا سَيِّدِي سَأَلْتُك بِاَللَّهِ إلَّا مَا عَفَوْت عَنِّي ، فَقَالَ لِي : وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَقُلْت أَنَا الَّذِي أَخَذْت مِنْك السَّمَكَةَ غَصْبًا ، وَذَكَرْت لَهُ مَا جَرَى وَأَرَيْته يَدِي فَبَكَى حِينَ رَآهَا ثُمَّ قَالَ : يَا

أَخِي قَدْ حَالَتْكَ مِنْهَا لِمَا قَدْ رَأَيْت بِك مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ ، فَقُلْت لَهُ : بِاَللَّهِ يَا سَيِّدِي هَلْ كُنْت دَعَوْت عَلَيَّ لَمَّا أَخَذْتهَا مِنْك ؟ قَالَ : نَعَمْ .قُلْت : اللَّهُمَّ هَذَا تَقَوَّى عَلَيَّ بِقُوَّتِهِ عَلَى ضَعْفِي وَأَخَذَ مِنِّي مَا رَزَقْتَنِي ظُلْمًا فَأَرِنِي فِيهِ قُدْرَتَك ، فَقُلْت لَهُ : يَا سَيِّدِي قَدْ أَرَاك اللَّهُ قُدْرَتَهُ فِي وَأَنَا تَائِبٌ إلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا كُنْت عَلَيْهِ مِنْ خِدْمَةِ الظَّلَمَةِ وَلَا عُدْت أَقِفُ لَهُمْ عَلَى بَابٍ وَلَا أَكُونُ مِنْ أَعْوَانِهِمْ مَا دُمْت حَيًّا إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. **الزواجر عن اقتراف الكبائر ٣٢/٣.**

قال أبو العتاهية:

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا * * * غداً عند الإله من الظلوم

أما والله إنَّ الظُّلم شؤمٌ * * * وما زال المسيء هو الظَّلوم

إلى ديانٍ يوم الدّين نمضي * * * وعند الله تجتمع الخصوم

ستعلم في الحساب إذا التقينا * * * غداً عند الإله من الملوم

روى الخطيب في : (تاريخ بغداد ١٣١/١٤) : عن محمد بن يزيد المبرد قال حدثني محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك قال قال أبى لأبيه يحيى بن خالد بن برمك وهم في القيود والحبس يا أبت بعد الأمر والنهى والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس قال فقال له أبوه: يَا بُنَيَّ دَعْوَةُ مَظْلُومٍ سَرَتْ بِلَيْلٍ غَفَلْنَا عَنْهَا وَلَمْ يَغْفُلْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا ،ثم انشأ يقول :

رب قوم قد غدوا في نعمة * * * زمنا والدهر ريان غدق

سكت الدهر زمانا عنهم * * * ثم أبكاهم دما حين نطق

ثانياً : الصدق والوضوح : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمَ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ. **أخرجه أحمد ٤٨٠/٢(١٠٢٣٢) قال : حدَّثنا وكيع . و"مسلم" ٢١١.**

عَنْ أَبِي الْحَسَنِ ، قَالَ : قَالَ عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ لِمُعَاوِيَةَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَا مِنْ إِمَامٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ ، وَالْخَلَّةِ

، وَالْمَسْكَنَةِ ، إِلاَّ أَغْلَقَ اللهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ خَلَّتِهِ ، وَحَاجَتِهِ ، وَمَسْكَنَتِهِ. فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ رَجُلاً عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ . أخرجه أحمد ٤/٣٣١(١٨١٩٦) و"التِّرمِذي"١٣٣٣ "السلسلة الصحيحة" ٢ / ٣٠٥.

ثالثاً : السعي لتحقيق مطالب الناس : عَنْ أَبِي غَالِبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم: ثَلاَثَةٌ لاَ تُجَاوِزُ صَلاَتُهُمْ آذَانَهُمُ الْعَبْدُ الآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ وَإِمَامُ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ. أخرجه التِّرمِذي ٣٦٠ رقم: ٣٠٥٧ في صحيح الجامع .

عَنِ الْحَسَنِ ، أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ : إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً ، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ ، إِلاَّ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ . أخرجه أحمد ٥/٣٥(٢٠٥٥٧) و"البُخَارِي" ٩/٨٠(٧١٥٠) و"مسلم"١/٨٧(٣٨٠).

قال رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ امْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ . وَمَنْ وَلِيَ مِنْ امْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ ، فَارْفُقْ بِهِ. أخرجه أحمد ٦/٩٣ و"مسلم" ٦/٧.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ "أخرجه الطبراني (١٢/٣٥٨ ، رقم ١٣٣٣٤) قال الألباني :(حسن لغيره) صحيح الترغيب والترهيب ٣/٣٥٨.

قال أبو العتاهية:

اقض الحوائج ما استطعت * وكن لهم أخيك فارج**

فـــلـغـــير أيام الفـــتى * يوم قضى فيه الحوائج**

عن معمر عن عاصم بن أبي النجود أن عمر بن الخطاب كان إذا بعث عماله شرط عليهم ألا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقيا ولا تلبسوا رقيقـــا ولا تغلقـــوا أبوابكم دون حوائج الناس فإن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة قـــال

ثم شيعهم فإذا أراد أن يرجع قال إني لم أسلطكم على دماء المسلمين ولا على أعراضهم ولا على أموالهم ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة وتقسموا فيئهم وتحكموا بينهم بالعدل فإن أشكل عليكم شيء فارفعوه إلي ألا فلا تضربوا العرب فتذلوها ولا تجمروها فتفتنوها ولا تعتلوا عليها فتحرموها. **المصنف ، لعبد الرزاق الصنعاني 11/ ٣٣٤.**

رابعاً : الخضوع للمراجعة والمحاسبة :

فالظلم لا يدوم ودولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة ،ولعل تفشي الظلم وعدم وجود عدالة اجتماعية كان سبباً رئيسياً في وجود هذه الأحداث ، والإسلام حينما أمرنا وحثنا على التكافل الاجتماعي والتراحم بين الناس هدف من ذلك أن يخلق مجتمعاً إسلاميا وإنسانياً متراحماً ومتكافلاً تسود فيه مبادئ العدل والمساواة وتختفي فيه مظاهر الظلم والتكبر والتجبر .

عن بعض الهاشميين قال: كنت جالساً عند المنصور بإرمينية، وهو أميرها لأخيه أبي العباس، وقد جلس للمظالم، فدخل عليه رجل، فقال: إن لي مظلمةً، وإني أسألك أن تسمع مني مثلاً أضربه قبل أن أذكر مظلمتي، قال: قل، قال: إني وجلت لله تبارك وتعالى؛ خلق الخلق على طبقَاتٍ، فالصبي إذا خرج إلى الدنيا لا يعرف إلا أمه، ولا يطلب غيرها، فإذا فزع من شيءٍ لجأ إليها، ثم يرتفع عن ذلك طبقةً، فيعرف أن أباه أعز من أمه، فإن أفزعه شيء لجأ إلى أبيه، ثم يبلغ، ويستحكم، فإن أفزعه شيء لجأ إلى سلطانه، فإن ظلمه ظالم انتصر به، فإذا ظلمه السلطان لجأ إلى ربه، واستنصره، وقد كنت في هذه الطبقات وقد ظلمني ابن نهيك في ضيعةٍ لي في ولايته، فإن نصرتني عليه، وأخذت بمظلمتي وإلا استنصرت إلى الله عز وجل ولجأت إليه، فانظر لنفسك أيها الأمير، أو دع! فتضاءل أبو جعفر، وقال: أعد علي الكلام؟ فأعاده، فقال: أما أول شيءٍ فقد عزلت ابن نهيك عن ناحيته، وأمر برد ضيعته. **مختصر تاريخ دمشق ٤/٣٧٣.**

٨- وجوب محاسبة الولاة :

الولاية على الناس أمانة اختص الله تعالى بها بعض الناس ، وسوف سألهم عنها يوم القيامة، قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) سورة النساء.

عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالأَمِيرُ الذي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهْىَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. أَخْرَجَهُ أحمد ٥/٢(٤٤٩٥) و"البُخَارِي" ١٩٦/٣(٢٥٥٤) و"مسلم" ٦/٧(٤٧٥١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ. أخرجه أحمد ٢٣٥/٢(٧٢٠٣) و"البُخاري" في الأدب المفرد (١٨٣) و"مسلم" ١٨/٨.

ومدار الصلاحية لأداء هذه الأمانة يقوم على القوة والنزاهة ، القوة على تحمل أعباء المنصب والقيام عليه على الوجه اللائق ، والأمانة التي تجعلك تؤدي إلى كل ذي حق حقه ، قال يوسف عليه السلام لملك مصر وقد جاء منقذًا : " اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ " . سورة يوسف : ٥٥ ، فكانت مؤهلاته في علمه وحفظه وأمانته وقوته، وقالت المرأة الصالحة لأبيها: " يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ " سورة القصص: ٢٦ .

وهذه الأمانة لا تؤخذ إلا بحقها ،عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ:قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي ؟ قَالَ : فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ

، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا. أخرجه مسلم ٦/٦(٤٧٤٦).

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ ، كَانَ غُلُولاً يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالَ : فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ ، مِنَ الأَنْصَارِ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ ، قَالَ : وَمَا لَكَ ؟ قَالَ : سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : وَأَنَا أَقُولُهُ الآنَ : مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ ، فَلْيَجِئْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى. أخرجه "أحمد"٤/١٩٢(١٧٨٦٩) و"مسلم"٦/١٢(٤٧٧١) .

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه قال : "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، و رجل قام إلى إمام جائر فأمره و نهاه فقتله " . أخرجه الحاكم (٣ / ١٩٥) الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٦٤٨.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَأَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَالشَّهِيدُ وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ وَأَمَّا أَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ فَأَمِيرٌ مُسَلَّطٌ وَذُو ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لاَ يُعْطِي حَقَّ مَالِهِ وَفَقِيرٌ فَخُورٌ. أخرجه أحمد ٢/٤٣٥(٩٤٨٨) و"الترمذي" ١٦٤٣ و"ابن خزيمة" ٢٣٤٩.

وها هو الخليفة أبو بكر الصديق، يقومُ بزيارَاتٍ تَفقدية للمُدن الإسلامية، فذهب إلى مكة بعد مُبايَعَتِه في المدينة، وبعد أنْ طاف بالبيت، جلس قريبًا من دارِ النَّدوة، فقال: هل من أحد يَشتكي من ظلامة أو يطلب حقًّا؟ فما أتاه أحد، وبهذا اطمأن على الرَّعِيَّة، وأنَّهم بخير وراضون عن واليهم، ومن مَواقفه – رضي الله عنه – مُحاسبته لمعاذ بن جبل الصحابي الجليل، عندما قدم من اليمن بعد وَفاة الرسول – عليه الصَّلاة والسَّلام – حيث قال: "ارفع حسابك"،

فقال معاذ: "حسابان: حساب من الله، وحساب منك".

أمَّا الخليفة عمر بن الخطاب، فيتجلى أسلوبه الرقابي الرئاسي في الأعمال التالية:

١- الرقابة الذاتية على نفسه ومحاسبتها : كان رضي الله عنه يقول في محاسبة النفس ومراقبتها: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيئوا للعرض الأكبر . مختصر منهاج القاصدين ص٣٧٣.

روي أن عمر رضي الله عنه كتب إلى بعض عماله: أن حاسب نفسك قبل حساب الشدة، فإنه من حاسب نفسه في الرخاء، قبل حساب الشدة عاد مرجعه إلى الرضى والغبطة. ابن أبي الدنيا : محاسبة النفس ص ٣٨.

وروي أنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه. رواه ابن المبارك في الزهد ص ١٠٣.

وعن داود بن علي قال: قال عمر رضي الله عنه "لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة، لظننت أن اللّه عز وجل سائلي عنها يوم القيامة. وعن عبد اللّه بن عمر قال: كان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقول: لو مات جدي بطف٥ الفرات لخشيت أن يحاسب اللّه به عمر.

وعن علي رضي الله عنه قال: "رأيت عمر بن الخطّاب رضي الله عنه على قتب يعدو، فقلت: "يا أمير المؤمنين أين تذهب؟ قال: "بعير نَدَّ من إبل الصدقة أطلبه "فقلت: "لقد أذللت الخلفاء بعدك، فقال: "يا أبا الحسن لا تلمني فوالذي بعث محمداً بالنبوة لو أن عناقاً أخذت بشاطيء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة. ابن الجوزي: مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص ١٦١.

ووقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الجمعة بالناس، وكان قبل الجمعة يوم الخميس حين وزع عليهم ثوباً ثوباً، عندما أتته ثياب من اليمن اشتراها، فلما وصلت الثياب أعطى المسلمين، كل مسلمٍ ثوباً، وأخذ هو ثوباً

واحداً، لكن عمر كان طويلاً، عملاقاً، كبير البنية، ما كفاه ثوبٌ واحد! فقال لابنه عبد الله : أعطني ثوبك مع ثوبي؛ لأني رجل طويل، ثوبك الذي هو حصتك مع المسلمين ألبسني إياه. فقال عبد الله : خذ ثوبي، فلبس ثوبين – تغير الشكل، كيف يلبس ثوبين والمسلمون لبسوا من ثوب واحد– فبدأ الخطبة، وقال: أيها الناس! اسمعوا وعوا، فقام سلمان من وسط المسجد، وقال: والله لا نسمع ولا نطيع، فتوقف واضطرب المسجد، وقال: ما لك يا سلمان ؟قال: تلبس ثوبين وتلبسنا ثوباً ثوباً ونسمع ونطيع.قال عمر : يا عبد الله ! قم أجب سلمان ، فقام عبد الله يبرر لسلمان ، وقال: هذا ثوبي الذي هو قسمي مع المسلمين أعطيته أبي، فبكى سلمان ، وقال: الآن قل نسمع، وأمر نطع، فاندفع عمر يتكلم. **أعلام الموقعين لابن القيم ٣ / ١٨٠.**

قال حافظ إبراهيم :

فَمَنْ يُبَارِي أَبَا حَفْصٍ وَسِيرَتِه * * * أَوْ مَنْ يُحَاوِلُ لِلفَارُوقِ تَشْبِيهاً

يَوْمَ اشْتَهتْ زَوْجه الحَلْوَى فَقَالَ لَهَا : * * * مِنْ أَيْنَ لِي ثَمِنِ الحَلْوَى فَأَشْرِيهَا

مَا زَادَ عَنْ قُوتِنَا فَالمُسْلمون بِه أَوْلَى * * * فَقُومِي لبيْتِ المَالِ رُدِّيهَا

كَذَاكَ أَخْلاقُه كانَتْ ومَا عَهِدَت * * * بَعْدَ النّبُوةِ أَخْلاقٌ تُحَاكِيهَا

وعندما قدم عتبة بن فرقد أذربيجان أتى بالخبيص، فلما أكله وجد شيئاً حلواً طيباً، فقال: والله لو صنعت لأمير المؤمنين من هذا، فجعل له سفطين عظيمين، ثم حملهما على بعير مع رجلين، فسرّح بهما إلى عمر. فلما قدما عليه فتحهما، فقال: أي شيء هذا؟ قالوا: خبيص فذاقه، فإذا هو شيء حلو. فقال: أكل المسلمين يشبع من هذا في رحله؟ قال: لا. قال: أما لا فارددهما. ثم كتب إليه: أما بعد، فإنه ليس من كد أبيك ولا من كد أمك. أشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك . **مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص١٤٧.**

٢– مُحاسبة الوُلاة والعُمَّال عند انتهاء عملهم أو خدماتِهم، ومن الصَّحابة الذين حاسبهم – رضي الله عنه – أبو هريرة عامله على البحرين، وأبو موسى الأشعري عامله على البصرة، وعمرو بن العاص عامله على مصر،

وسعد بن أبي وقاص عامله على الكوفة... وغيرهم.

بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن سعد بن أبي وقاص بنى له قصرا في الكوفة بحيال محراب مسجد الكوفة فشيده وجعل فيه بيت المال وسكن ناحيته ثم إن بيت المال نقب عليه نقبا وأخذ من المال وكتب سعد بذلك إلى عمر ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن مما يلي ودعة الدار فكتب إليه عمر أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار واجعل الدار قبلته فإن للمسجد أهلا بالنهار وبالليل وفيهم حصن لما لهم فنقل المسجد وأراغ بنيانه فقال له دهقان من أهل همذان يقال له روزبه بن بزرجمهر أنا أبنيه لك وأبني لك قصرا فأصلهما ويكون بنيانا واحدا فخط قصر الكوفة على ما خط عليه ثم أنشأه من نقض آجر قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم ولم يسمح به ووضع المسجد بحيال بيوت الأموال منه إلى منتهى القصر يمنة على القبلة ثم مد به عن يمين ذلك إلى منقطع رحبة علي بن أبي طالب عليه السلام والرحبة قبلته ثم مد به فكانت قبلة المسجد إلى الرحبة وميمنة القصر وكان بنيانه على أساطين من رخام كانت لكسرى بكنائس بغير مجنبات فلم يزل على ذلك حتى بني أزمان معاوية بن أبي سفيان بنيانه اليوم على يدي زياد ولما أراد زياد بنيانه دعا ببنائين من بنائي الجاهلية فوصف لهم موضع المسجد وقدره وما يشتهي من طوله في السماء وقال اشتهى من ذلك شيئا لا أقع على صفته فقال له بناء قد كان بناء لكسرى لا يجئ هذا إلا بأساطين من جبال أهواز تنقر ثم تثقب ثم تحشى بالرصاص وبسفافيد الحديد فترفعه ثلاثين ذراعا في السماء ثم تسقفه وتجعل له مجنبات ومواخير فيكون أثبت له فقال هذه الصفة التي كانت نفسي تنازعني إليها ولم تعبرها وغلق باب القصر وكانت الأسواق تكون في موضعه بين يديه فكانت غوغاؤهم تمنع سعدا الحديث فلما بنى ادعى الناس عليه ما لم يقل وقالوا قال سعد سكن عني الصويت وبلغ عمر ذلك وأن

الناس يسمونه قصر سعد . فدعا محمد بن مسلمة فسرحه إلى الكوفة وقال اعمد إلى القصر حتى تحرق بابه ثم ارجع عودك على بدئك فخرج حتى قدم الكوفة فاشترى حطبا ثم أتى به القصر فأحرق الباب وأتى سعد فأخبر الخبر فقال هذا رسول أرسل لهذا من الشام وبعث لينظر من هو فإذا هو محمد بن مسلمة فأرسل إليه رسولا بأن ادخل فأبى فخرج إليه سعد فأراده على الدخول والنزول فأبى وعرض عليه نفقة فلم يأخذ ودفع كتاب عمر إلى سعد بلغني أنك بنيت قصرا اتخذته حصنا ويسمى قصر سعد وجعلت بينك وبين الناس بابا فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال انزل منه منزلا مما يلي بيوت الأموال وأغلقه ولا تجعل على القصر بابا يمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك إذا خرجت فحلف له سعد ما قال الذي قالوا ورجع محمد بن مسلمة من فوره حتى إذا دنا من المدينة فنى زاده فتبلغ بلحاء من لحاء الشجر فقدم على عمر وقد سبق فأخبره خبره كله فقال فهلا قبلت من سعد فقال لو أردت ذلك كتبت لي به أو أذنت لي فيه فقال عمر إن أكمل الرجال رأيا من إذا لم يكن عنده عهد من صاحبه عمل بالحزم أو قال به ولم ينكل وأخبره بيمين سعد وقوله فصدق سعدا وقال هو أصدق ممن روى عليه ومن أبلغني. **تاريخ الطبري ١٥١/٣.**

٣- إتباع أسلوب التفتيش وتقصي الحقائق في بعض القضايا، منها شكوى أهل حمص واليهم سعيد بن عامر؛ فحينما استعمل عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر، فلما قدم عمر بن الخطاب حمص قال: يا أهل حمص، كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه وكان يقال لأهل حمص: الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال قالوا: نشكو أربعاً: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظم بها! قال: وماذا؟ قال: لا يجيب أحداً بليل. قال: وعظيمة! قال: وماذا؟ قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا. قال: وعظيمة! وماذا؟ قالوا: يغبط الغبطة بين الأيام. يعني: تأخذه موته.قال: فجمع عمر بينهم وبينه وقال:

اللهم، لا تفيل رأي فيه اليوم، ما تشكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال: والله إن كنت لأكره ذكره، ليس لأهلي خادم، فأعجن عجيني، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ، ثم أخرج إليهم. فقال: ما تشكو منه؟ قالوا: لا يجيب أحداً بالليل. قال: ما تقول؟ قال: إن كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم، وجعلت الليل لله عز وجل. قال: وما تشكون منه؟ قالوا: إن له يوماً في الشهر لا يخرج إلينا فيه. قال: ما تقول؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي، ولا لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى يجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار. قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغبط الغبطة بين الأيام. قال: ما تقول؟ قال: شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة، وقد بضعت قريش لحمه، ثم حملوه على جذعة فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وأن محمداً يشيك بشوكة، ثم نادى: يا محمد. فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال، وأنا مشرك لا أومن بالله العظيم، إلا ظننت أن الله تعالى لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً. قال: فتصيبني تلك الغنطة. فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفيل فراستي، فبعث إليه بألف دينار، فقال: استعن بها على أمرك، فقالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك. فقال لها: فهل لك في خير من ذلك؟ ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها. قالت: نعم. فدعا رجلاً من أهل يثق به، فصرها صرراً، ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى يتيم آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان، فبقيت منها ذهبية فقال: أنفقي هذه. ثم عاد إلى عمله، فقالت: ألا تشتري لنا خادماً، ما فعل ذلك المال؟ قال: سيأتيك أحوج ما تكونين إليه.مختصر تاريخ دمشق ٣/٣١٠.

وهذه القصة يرويها أنس بن مالك رضي الله عنه؛ إذ قال: "إن رجلاً من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم. قال: عُذْتَ مَعَاذًا. قال: سابقتُ ابن عمرو بن العاص رضي الله

عنه فسبقته، فجعل يضربني بالسوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين. فكتب عمر إلى عَمرو يأمره بالقدوم ويُقْدِم بابنه معه، فَقَدِمَ، فقال عمر رضي الله عنه: أين المصري؟ خذ السطو فاضرب. فجعل يضربه بالسوط، ويقول عمر رضي الله عنه: اضرب ابن الأكرمين. قال أَنس رضي الله عنه: فضُرب، فوالله لقد ضربه ونحن نحبُّ ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنَّيْنَا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصريِّ: ضع السوط على صلعة عَمرو. فقال: يا أمير المؤمنين، إنما ابنه الذي ضربني، وقد استقدت منه. فقال عمر لعَمرو: مذ كم تَعَبَّدْتُم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟ قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم، ولم يأتني .

المتقي الهندي: كنز العمال ٦٦٠/١٢، وابن الجوزي: مناقب عمر ص٩٩.

٤- الزيارات التفقدية للشام؛ للتعرُّف على أحوال ولاتها، وتنظيم أموالها بعد طاعون عمواس، الذي فتك بالمسلمين، ويقال: إنَّه استقبل بطريقة فيها شيء من الأبهة، فغضب منهم ورماهم بالحجارة، إلاَّ أنَّ مُعاوية برَّر ذلك بتبريرٍ قَبِله الخليفة، وعندما وجد عمر أنَّ هذه الزيارة مفيدة مثمرة، عقد العزم على القيام بزيارةِ جميع الولايات الإسلامية.

٥- مُقابلة الولاة والعمال في مَوسمِ الحج؛ حيث أمر عمرُ ولاتَه وعماله أن يلتقوا به في مؤتمر سنوي في مَوسم الحج؛ للمُحاسبة وتدارُس الأمور.

جاءه رجل إليه فقال يا أمير المؤمنين إن عاملك فلاناً ضربني مائة سوط فقال عمر للرجل: "قم فاقتص من أميرك، فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، إنك إن فعلت هذا يكون سنة يأخذ بها من بعدك قال عمر: لقد رأيت رسول الله يقتص من نفسه، قال عمرو: يا أمير المؤمنين دعنا فلنرضه قال عمر: دونكم الرجل فأرضوه" فاجتمع الأمراء على الشاكي، فما زالوا به حتى قبل من ضاربه مائتي دينار، كيلا يقتص منه.

وقد اتَّبع الخليفةُ عثمان بن عفان أسلوبَ عمر بن الخطاب، من حيث إرسال مَن يتقصَّى الحقائقَ، والاهتمام بالزيارات الميدانية للتفتيش، والاستفادة من

مَوسم الحجِّ الذي يُعَدُّ بِمَثابة مؤتمر سنوي، كما كان الخليفة علي بن أبي طالب يقوم بما يشبه ذلك، وقد مَرَّ بنا خطابه المشهور للأشتر النخعي حين ولاَّه على مصر.

وقد كان الخليفة العباسي المأمون يُخَصِّصُ يوم الأحد من كل أسبوع للنظر في المظالم، وفي يوم من أيام جلوسه جاءته امرأة في ثياب رثّة "فقالت:

يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ بِهُ دَى لَهُ الرَّشَدُ *** وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْمُلْكِ أَرَمَلَةٌ *** عَدَا عَلَيْهَا فَمَا تَقْوَى بِهِ أَسَدُ
فَابْتَزَّ مِنْهَا ضِيَاعًا بَعْدَ مَنْعَتِهَا *** لَمَّا تَفَرَّقَ عَنْهَا الأَهْلُ وَالْوَلَدُ

فأطرق المأمون يسيرًا ثمَّ رفع رأسه وقال:

مِنْ دُونِ مَا قُلْتِ عِيلَ الصَّبْرُ وَالْجَلَدُ *** وَأَقْرَحَ الْقَلْبَ هَذَا الْحُزْنُ وَالْكَمَدُ
هَذَا أَوَانُ صَلاَةِ الظُّهْرِ فَانْصَرِفِي *** وَأَحْضِرِي الْخَصْمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُ
الْمَجْلِسُ السَّبْتُ إِنْ يُقْضَ الْجُلُوسُ لَنَا *** أُنْصِفْكِ مِنْهُ وَإِلاَّ الْمَجْلِسُ الأَحَدُ

فانصرفت وحضرت يوم الأحد في أوَّل النَّاس، فقال لها المأمون: من خصمك؟ فقالت: القائم على رأسك العبَّاس بن أمير المؤمنين (ابنه)، فقال المأمون لقاضيه يحيى بن أكثم: أجلسها معه وانظر بينهما. فأجلسها معه، ونظر بينهما بحضرة المأمون، وجعل كلامها يعلو، فزجرها بعض حجَّابه، فقال له المأمون: دعها فإنَّ الحقَّ أنطقها والباطل أخرسه. وأمر بردِّ ضياعها عليها. ففعل المأمون في النَّظر بينهما حيث كان بمشهده، ولم يباشره بنفسه لما اقتضته السِّياسة؛ من وجهين: أحدهما: أنَّ حكمه ربَّما توجَّه لولده، وربَّما كان عليه، وهو لا يجوز أن يحكم لولده، وإن جاز أن يحكم عليه. والثَّاني: أنَّ الخصم امرأةٌ يجلُّ المأمون عن محاورتها... وباشر المأمون تنفيذ الحكم وإلزام الحقِّ. **الماوردي: الأحكام السلطانية ص١٤٦، ١٤٧.**

وهكذا سار المسلمون الأوائل على هذا النهج القويم حتى أسسوا دولة إسلامية ساد عدلها على الجميع ، وشيدت حضارة كانت مضرب الأمثال للشرق والغرب .

٩- الفساد الإداري ظاهرة تستحق المعالجة :

الفساد الإداري آفة مجتمعية عرفتها المجتمعات الإنسانية وعانت منها منذ ظهور الإنسان على وجه البسيطة وحتى يومنا هذا. وهي اليوم موجودة في كافة المجتمعات الغنية والفقيرة، المتعلمة والأمية، القوية والضعيفة. فظهورها واستمرارها مرتبط برغبة الإنسان في الحصول على مكاسب مادية أو معنوية يعتقد في قرارة نفسه أنه ليس له حق فيها ومع ذلك يسعى إليها. ولذا فهو يلجأ إلى وسائل غير سوية للوصول لها، منها إقصاء من له أحقية فيها، ومنها أيضاً الحصول عليها عن طريق رشوة من بيده الأمر أو عن طريق آخر هو المحسوبية أو الواسطة عند ذوي الشأن.

وهذا الفساد له آلياته وآثاره ومضاعفاته التي تؤثر في نسيج المجتمعات وسلوكيات الأفراد وطريقة أداء الاقتصاد وتعيد صياغة (نظام القيم) وهناك آليتين رئيسيتين من آليات الفساد:

١. آلية دفع (الرشوة) و(العمولة) (المباشرة) إلى الموظفين والمسؤولين في الحكومة، وفي القطاعين العام والخاص لتسهيل عقد الصفقات وتسهيل الأمور لرجال الأعمال والشركات الأجنبية.

٢. وضع اليد على (المال العام) والحصول على مواقع متقدمة للأبناء والأصهار والأقارب في الجهاز الوظيفي.

والفساد من حيث مظهره يشمل أنواع عدة منها:

١. الفساد السياسي: ويتعلق بمجمل الانحرافات المالية ومخالفات القواعد والأحكام التي تنظم عمل النسق السياسي (المؤسسات السياسية) في الدولة. ومع أن هناك فارق جوهري بين المجتمعات التي تنتهج أنظمتها السياسية أساليب الديمقراطية وتوسيع المشاركة، وبين الدول التي يكون فيها الحكم شمولياً ودكتاتورياً، لكن العوامل المشتركة لانتشار الفساد في كلا النوعين

من الأنظمة تتمثل في نسق الحكم الفاسد (غير الممثل لعموم الأفراد في المجتمع وغير الخاضع للمساءلة الفعالة من قبلهم) وتتمثل مظاهر الفساد السياسي في: الحكم الشمولي الفاسد، وفقدان الديمقراطية، وفقدان المشاركة، وفساد الحكام وسيطرة نظام حكم الدولة على الاقتصاد وتفشي المحسوبية.

٢. الفساد المالي: ويتمثل بمجمل الانحرافات المالية ومخالفة القواعد والأحكام المالية التي تنظم سير العمل الإداري والمالي في الدولة ومؤسساتها ومخالفة التعليمات الخاصة بأجهزة الرقابة المالية كالجهاز المركزي للرقابة المالية المختص بفحص ومراقبة حسابات وأموال الحكومة والهيئات والمؤسسات العامة والشركات، ويمكن ملاحظة مظاهر الفساد المالي في: الرشاوى والاختلاس والتهرب الضريبي وتخصيص الأراضي والمحاباة والمحسوبية في التعيينات الوظيفية.

٣. الفساد الإداري: ويتعلق بمظاهر الفساد والانحرافات الإدارية والوظيفية أو التنظيمية وتلك المخالفات التي تصدر عن الموظف العام إثناء تأديته لمهام وظيفته في منظومة التشريعات والقوانين والضوابط ومنظومة القيم الفردية التي لا ترقى للإصلاح وسد الفراغ لتطوير التشريعات والقوانين التي تغتنم الفرصة للاستفادة من الثغرات بدل الضغط على صناع القرار والمشرعين لمراجعتها وتحديثها باستمرار. وهنا تتمثل مظاهر الفساد الإداري في: عدم احترام أوقات ومواعيد العمل في الحضور والانصراف أو تمضية الوقت في قراءة الصحف واستقبال الزوار، والامتناع عن أداء العمل أو التراخي والتكاسل وعدم تحمل المسؤولية وإفشاء أسرار الوظيفة والخروج عن العمل الجماعي.

والواقع إن مظاهر الفساد الإداري متعددة ومتداخلة وغالباً ما يكون انتشار احدها سبباً مساعداً على انتشار بعض المظاهر الأخرى.

٤. الفساد الأخلاقي: والمتمثل بمجمل الانحرافات الأخلاقية والسلوكية

المتعلقة بسلوك الموظف الشخصي وتصرفاته. كالقيام بإعمال مخلة بالحياء في أماكن العمل أو أن يجمع بين الوظيفة وأعمال أخرى خارجية دون أذن أدارته، أو أن يستغل السلطة لتحقيق مآرب شخصية له على حساب المصلحة العامة أو أن يمارس المحسوبية بشكلها الاجتماعي الذي يسمى (المحاباة الشخصية) دون النظر إلى اعتبارات الكفاءة والجدارة.

وكل هذه الأنواع من الفساد آفات مدمرة وقاتلة للمجتمعات الإنسانية .

ولقد حسم القرآن الكريم تلك القضية ، فقال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) سورة النساء.

فقد أمر الله تعالى بأداء الأمانات بجميع أشكالها وصنوفها ، وأن تكون هناك عدالة اجتماعية تساوي بين جميع الناس في الحقوق والواجبات .

وأن لا يترك الأمر لطمع الطامعين ممن ألفوا الكسب الحرام واتصفوا بالأنانية وحب الذات ، فليس لهم هدف سوى التربح وكنز الأموال بشتى الطرق والوسائل .

قال الشاعر :

مُدُنُ الحكَايَا لَمْ تَكُنْ لَيْلاتُهَا * * * شِعْراً وَغَانِيَةً وَكَأْسَ مدَامِ

كَانَتْ كَمَا – شَاءَ الطُّغَاةُ – مُضاءةً * * * بِالصَّبْرِ وَالأَحْزَانِ وَالآلامِ

مُدُنُ الحكَايَا الأَلْفِ كَانَتْ دَائِماً * * * نَارَ الشُّعُوبِ وَجَنَّةَ الحُكَّامِ

مأسَاتُنَا عِشْقُ الطغاةِ كأننا * * * لم نَنْسَ – بَعْدَ – عبادةَ الأَصنامِ !!

ولقد حارب الإسلام الفساد الإداري وطرق الكسب غير المشروع ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ ، كَانَ غُلُولاً يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالَ : فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ ، مِنَ الأَنْصَارِ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ ، قَالَ : وَمَا لَكَ ؟ قَالَ : سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : وَأَنَا أَقُولُهُ الآنَ : مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ ، فَلْيَجِئْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ ، فَمَا

أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى. أخرجه "أحمد"٤/١٩٢(١٧٨٦٩) و"مسلم"٦/١٢(٤٧٧١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو . قَالَ: كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ ، يُقَالُ لَهُ : كِرْكِرَةُ ، فَمَاتَ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : هُوَ فِي النَّارِ ، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَوَجَدُوا عَبَاءَةً ،قَدْ غَلَّهَا.أخرجه أحمد ٢/١٦٠ (٦٤٩٣) . والبخاري ٤/٩١(٣٠٧٤).

والثقل – بفتحتين – هو العيال والمتاع، وكان كركرة هذا عبدا نوبيا أسود أهداه إليه هوزة بن علي الحنفي صاحب اليمامة.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَامَ خَيْبَرَ فَلَمْ نَغْنَمْ إِلاَّ الأَمْوَالَ وَالْمَتَاعَ وَالثِّيَابَ فَأَهْدَى رَجُلٌ مِنْ بَنِى الضُّبَيْبِ يُقَالُ لَهُ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم غُلاَمًا أَسْوَدَ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ فَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى وَادِى الْقُرَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِوَادِى الْقُرَى بَيْنَا مِدْعَمٌ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَجَاءَهُ سَهْمٌ فَأَصَابَهُ فَقَتَلَهُ فَقَالَ النَّاسُ هَنِيئًا لَكَ الْجَنَّةُ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَلاَّ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِى أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا . فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ بِذَلِكَ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ بِشِرَاكَيْنِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم شِرَاكٌ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَار. أخرجه و"البُخاري" ٥/١٧٥(٤٢٣٤) و"مسلم" ١/٧٥. والشراك: هو رباط الحذاء.

وها هو النبي صلى الله عليه وسلم يعطينا درساً رائعاً في الوقوف ضد الرشوة التي هي لون من ألوان الفساد الإداري ، فعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ ، يُدْعَى ابْنَ الأُتْبِيَّةِ ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ ، قَالَ : هَذَا مَالُكُمْ ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: فَهَلاَّ جَلَسْتَ

فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا ؟ ثُمَّ خَطَبَنَا فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلاَّنِي اللَّهُ ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ : هَذَا مَالُكُمْ ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي ، أَفَلاَ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا ، وَاللهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ ، إِلاَّ لَقِيَ اللهَ تَعَالَى يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَلأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةً تَيْعِرُ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ.بَصُرَ عَيْنِي وَسَمِعَ أُذُنِي. أخرجه "البُخاري" ١٤/٢(٩٣٥) و"مسلم" ١١/٦(٤٧٦٦).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو . قَالَ:لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِي. أخرجه أحمد ١٦٤/٢(٦٥٣٢).

كما منع صلى الله عليه وسلم الوساطة والمحسوبية والشفاعة في الباطل ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ؛إن قُرَيْشا أهمهم شَانُ المرأة الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِى سَرَقَتْ . فَقَالُوا : مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؟ فَقَالُوا : وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إلا أُسامة ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم . فَكَلَّمَهُ أُسامة . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أتشفع في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ . فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إنما هَلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ إنهم كَانُوا إذا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ ، تَرَكُوهُ وإذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ ، أقاموا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَايْمُ اللهِ ، لَوْ أن فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا. أخرجه أحمد ٤١/٦ و"البُخَارِي" ٢١٣/٤ و٣٩/٥ و"مسلم" ١١٤/٥.

ولقد سار الخلفاء الراشدون على هذا النهج ، فلقد أدرك عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – منذ أول يوم من توليه نقطة البداية في الفساد الإداري ، فجمع أهل بيته وقال لهم : إن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم ، فإذا وقعتم وقعوا وإن هبتم هابوا ، وإني والله لا أوتي برجل منكم وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العذاب لمكانه مني.

قال ميمون بن مهران: دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده عامله على الكوفة، فإذا متغيظ عليه، فقلت: ماله يا أمير المؤمنين قال: أبلغني أنه قال: لا أجد شاهد زور إلا قطعت لسانه: قال: فقلت: يا أمير المؤمنين: إنه لم يكن بفاعل. قال: فقال: أنظروا إلى هذا الشيخ ــ مستنكراً ما قال ميمون ــ إن منزلتين أحسنهما الكذب لمنزلتا سوء.

والمقصود فإن الكذب أحد منازل السوء وبذلك يسعى عمر إلى قطع دابر الفساد الإداري بالتحذير من الوقاية عما يجر إليه الكذب والتحايل في اتخاذ القرارات.

كما أن كان يرفض الهدايا ، ويرد على من قال له: ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ؟ قال بلى، ولكنها لنا ولمن بعدنا رشوة.

وعندما أرسلت فاطمة بنت عبد الملك إلى أبن معدي كرب، تطلب عسلاً من عسل سينين أو لبنان، فبعث إليها، وأيم الله لئن عدت لمثلها، لا تعمل لي عملاً أبداً، ولا أنظر إلى وجهك. انظر : المعرفة والتاريخ للبسوي(٥٨٠/١).

وكتب إلى عماله: نرى أن لا يتجر إمام ولايحل لعامل تجارة في سلطانه الذي هو عليه، فإن الأمير متى يتجر يستأثر ويصيب أموراً فيها عنت وإن حرص أن لا يفعل. سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ٨٣.

فالفساد الإداري يؤدي إلى إفساد الحياة كلها ، فيحدث للناس نوع من التراخي ثم السلبية المدمرة ، التي تؤدي إلى : اللامبالاة وعدم إبداء الرأي وعدم الميل إلى التجديد والتطوير والابتكار والعزوف عن المشاركة في اتخاذ القرارات والانعزالية وعدم الرغبة في التعاون وعدم تحمل المسؤولية ، ثم الانحرافات السلوكية ، ويقصد بها تلك المخالفات الإدارية التي يرتكبها الموظف وتتعلق بمسلكه الشخصي وتصرفه، فتنشر السرقة والغصب والرشوة والغش والمحسوبية والتحايل على القانون والتزوير وغيرها .

١٠- كيفية التعامل مع الشائعات :

تعتبر الشائعات من أخطر الأسلحة الفتاكة والمدمرة للمجتمعات والأشخاص. فكم أقلقت الإشاعة من أبرياء، وكم حطمت الإشاعة من عظماء، وكم هدمت الإشاعة من وشائج، وكم تسببت الشائعات في جرائم، وكم فككت الإشاعة من علاقات وصداقات، وكم هزمت الإشاعة من جيوش، وكم أخرت الإشاعة في سير أقوام؟.

وإن من أسباب الضعف والفرقة عدم تأكد البعض من صحة الأخبار التي تصل إليهم فيصدقونها ويحكمون على صحتها بل ويرددونها وبالتالي ينقلونها إلى غيرهم وهذه ليست من صفات المسلم الصادق مع ربه ، الذي أمره الله تعالى من حسن التثبت من الأخبار الكاذبة ، قال تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) سورة الحجرات.

يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله : وهذا أيضا من الآداب التي على أولي الألباب التأدب بها واستعمالها ، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بنبأ ، أي : خبر أن يتثبتوا في خبره ، ولا يأخذوه مجردا ، فإن في ذلك خطرا كبيرا ، ووقوعا في الإثم ، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل ، حكم بموجب ذلك ومقتضاه ، فحصل من تلف النفوس والأموال ، بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سببا للندامة ، بل الواجب عند سماع خبر الفاسق ، التثبت والتبين .تفسير السعدي ٧٩٩.

وقال عزَّ و جل : " وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً " ، سورة النساء٨٣.

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله : وقوله: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو

الخوف أذاعوا به) إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة. تفسير ابن كثير ٣٦٥/٢.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً ، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ. أخرجه أحمد ٣٣٤/٢(٨٣٩٢) . والبُخاري (٦٤٧٨) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ.أخرجه ابن أَبي شَيْبَة ٤٠٧/٨(٢٥٦٠٨) و"أبو داود" ٤٩٩٢ .

عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ ، قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ لأَبِي مَسْعُودٍ – أَوْ قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ لأَبِي عَبْدِ اللهِ – (يَعْنِي حُذَيْفَةَ) : مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِي زَعَمُوا ؟ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ:بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ.أخرجه أحمد ٤٠١/٥(٢٣٧٩٥) و"البُخَارِي" ، في (الأدب المفرد) ٧٦٣ و"أبو داود" ٤٩٧٢ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلاَ تَحَسَّسُوا ، وَلاَ تَجَسَّسُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا. أخرجه "البُخاري" ٦٠٦٤.

وإن هذه الإشاعات تحوي الكذب الظاهر والافتراء الزاخر بالأخبار التي ينشرها هذا المشيع الذي أستمال قلوب سامعيه بأسباب أو بأخرى وهذا يرجع لحسن الظن فيه ودرجة الغفلة عنه وعدم التحقق من كلامه ، ولعمري من يردد هذه الإشاعات دونما تيقن وتبصر بل وعدم السعي منه للبحث عن الحق ليس إلا كالإمعة الذي أخبرنا عنه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في الأحاديث ومنها (الناسُ ثلاثة : عالمٌ رباني ومتعلمٌ على سبيل النجاة وهمجٌ رعاع أتباعُ كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق .

وتلك ثمار الجهل والجهل مرتعٌ * * * وخيمٌ وداء للنفوس عقورُ

فمن ينشر مثل تلك الشائعات على الأغلب لا يريد إصلاحا و خيرا وإنما يريد الفساد وزعزعة الأمن والفكر فحسبهم الله فلا تبادر إلى تصديقها ونشرها لأنك قد تكون بذلك ؛ أي إذا نشرت هذه الإشاعة كالساعين في الأرض فساداً.

ومنذ فجر التاريخ والشائعات تنشب مخالبها في جسد العالم كله، لا سيما في أهل الإسلام، يروّجها ضعاف النفوس والمغرضون من أعداء الديانة، ويتولى أعداء الإسلام عبر التاريخ، لاسيما اليهود قتلة الأنبياء ونقضة العهود، كبر الشائعات، بغيةَ هدم صرح الدعوة الإسلامية، والنيل من أصحابها، والتشكيك فيها، ولم يسلم من شائعاتهم حتى الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، فقد تعرّضوا لحملة من الافتراءات، والأراجيف ضد رسالتهم، تظهر حيناً، وتحت جُنح الظلام أحياناً، " فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ(٨٧) سورة البقرة.

فهذا المسيح – عليه السلام – تشكك الشائعات المغرضة فيه وفي أمة الصديقة: " يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا(٢٨) سورة مريم.

ويوسف – عليه السلام – نموذج من نماذج الطهر والنقاء ضد الشائعات المغرضة التي تمس العرض والشرف " كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) سورة يوسف.

ونبي الله هود – عليه السلام – يشاع عنه الطيش والخفة كما قال تعالى: " إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٦٦) سورة الأعراف.

والشائعة التي انتشرت أن كفار قريش قد أسلموا، وذلك بعد الهجرة الأولى للحبشة، كانت نتيجتها أن رجع عدد من المسلمين إلى مكة، وقبل دخولهم علموا أن الخبر كذب، فدخل منهم من دخل وعاد من عاد، فأما الذين دخلوا فأصاب بعضهم من عذاب قريش ما كان هو فارٌّ منه، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وفي معركة أحد، عندما أشاع الكفار أن الرسول – صلى الله عليه وسلم –

قتل، فتّ ذلك في عضد كثير من المسلمين، حتى أن بعضهم ألقى السلاح وترك القتال، فتأملوا رحمكم الله تأثير الإشاعة.

والشائعة الكاذبة التي صُنعت ضد الخليفة الراشد عثمان بن عفان – رضي الله تعالى عنه –، ترتب عليه أن تجمع أخلاط من المنافقين ودهماء الناس وجهلتهم، وأصبحت لهم شوكة، وقُتل على إثرها خليفة المسلمين بعد حصاره في بيته وقطع الماء عنه، بل كانت آثار هذه الفتنة، أن قامت حروب بين الصحابة الكرام كمعركة الجمل وصفين. مَن كان يتصور أن الإشاعة تفعل كل هذا، بل خرجت على إثرها الخوارج، وتزندقت الشيعة، وترتب عليها ظهور المرجئة والقدرية، ثم انتشرت البدع بكثرة، وظهرت فتن وقلاقل كثيرة، ما تزال الأمة الإسلامية تعاني من آثارها إلى اليوم.

ولعل من أشهرها قصة الإفك، تلك الحادثة التي كشفت عن شناعة الشائعات، وهي تتناول بيت النبوة الطاهرة، وتتعرّض لعرض أكرم الخلق على الله – صلى الله عليه وسلم –، وعرض الصدّيق والصدّيقة وصفوان بن المعطل – رضي الله عنهم أجمعين– وتشغل هذه الشائعة المسلمين بالمدينة شهراً كاملاً، والمجتمع الإسلامي يصطلي بنار تلك الفرية، ويتعذّب ضميره، وتعصره الشائعة الهوجاء عصراً، ولولا عناية الله لعصفت بالأخضر واليابس، حتى تدخّل الوحي ليضع حداً لتلك المأساة الفظيعة، ويرسم المنهج للمسلمين عبر العصور للواجب اتخاذه عند حلول الشائعات المغرضة " لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ(١٢) سورة النـور. إلى قوله سبحانه: " وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(١٦ – ١٧) سورة النـور. تقول عائشة – رضي الله عنها– : فمكثت شهراً لا يرقأ لي دمعٌ ولا أكتحل بنوم، حتى برّأها الله من فوق سبع سماوات – رضي الله عنها .

١١- ميدان التحرير (المدينة الفاضلة) :

المدينة الفاضلة كما تم التعارف عليها هي أحد أحلام الفيلسوف المشهور " أفلاطون " وهي مدينة تمنى أن يحكمها الفلاسفة .. وذلك ظناً منه أنهم لحكمتهم سوف يجعلون كل شئ في هذه المدينة معيارياً ، وبناءاً عليه ستكون فاضلة.

ولكنها عندنا نحن المسلمون كل بلد يحكمها شرع الله عز وجل .. لأن الله هو الحكيم الخبير .. ولو حكمنا شرعه لسادت قيم العدل والرحمة .. وسادت جميع الأخلاق الفاضلة .. فسوف تكون فاضلة بحق لأنها تحيا في ظل شريعة الرحمن.

وأصدقكم القول، في ميدان التحرير تحققت سمات وصفات هذه المدينة الفاضلة ، ففي ميدان التحرير، كلنا مصريون، الغني والفقير، المسلم والمسيحي، اليميني واليساري، الجندي والمدني... الكل يتبارى ليقدم أفضل ما عنده، فهو يتفنن في كتابة الشعارات المبتكرة، فهذا يحمل على كتفه صندوقاً ثقيلاً من زجاجات المياه يدور به على الناس ليسقي العطشى طواعية، وآخر الأكياس والأوراق من الأرض، وثالث يربت على كتف زميله مشاركا ومواسياً ، الكل يجمعهم مكان واحد كما جمعهم هدف واحد ، تجد جميع أطياف الناس ؛ المتعلم وغيره ، الطبيب والعالم والمهندس والمدرس والقاضي والحرفي ، والطلاب من جميع الجامعات العامة والخاصة ، وكذا النساء ؛ المنقبة والمحجبة وحتى المتبرجة ، الكل مشغول بشعار الحرية والعدالة ، والعجيب أنك تجد المسلم حينما يصلي تجد المسيحي يقف ليحرسه ، والمسيحي حينما يقيم قداسه يقف المسلم ليحرسه ، فروح الود والتآلف تسيطر على الجميع ، فلا إكراه لأحد على فكر أو رأي ، ولا إكراه لأحد على دين أو عقيدة ، كما قال سبحانه : " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ

الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . سورة البقرة: ٢٥٦.

وقال: " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) سورة يونس .

وقال " وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ .. (٢٩) سورة الكهف .

فلقد أوهموا الناس أن هناك فتنة طائفية تريد أن تجتاح مصر ، وأن الإسلام لا يقبل التعايش مع الآخرين وأنه يتربص بهم للإجهاز عليهم ، ولم يدركوا أن الإسلام دين يحترم الآخر ويرعى له ذمته وحقه في العيش الأمن الكريم ، ولقد استمر النبي صلى الله عليه وسلم حتى وفاته يطبق هذا السلوك الحضاري القويم ، فعَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فَمَرِضَ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَسْلِمْ ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ ، وَهُوَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صلى الله عليه وسلم ، فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ. أخرجه أحمد ١٧٥/٣(١٢٨٢٣) و"البُخَارِيّ" ١٣٥٦ و"أبو داود" ٣٠٩٥.

فهذه الحكاية تذكر في معرض حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية الناس إلى دين الحق والخير ، وقد لا يلتف كثير منا إلى شيء مهم وهو سماح النبي عليه الصلاة والسلام لغلام يهودي بأن يكون في خدمته يدخل بيته ويتطلع على أسرار لا يطلع عليه الناس .

وحكاية أخرى ذكرتها كتب السنة عن المرأة اليهودية التي لبى النبي صلى الله عليه وسلم دعوتها وذهب إلى بيتها يشاركها طعامها ، عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ أَنَسٍ ؛ أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ ، فَأَكَلَ مِنْهَا ، فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ،

فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : أَرَدْتُ لأَقْتُلَكَ ، قَالَ : مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ – قَالَ : أَوْ قَالَ : عَلَيَّ – قَالَ : قَالُوا : أَلاَ نَقْتُلُهَا ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.أخرجه أحمد ٣/٣١٨(١٣٣١٨) و"البُخَارِي" ٢٦١٧ ، وفي (الأدب المفرد) ٣٤٣ و"مسلم" ٥٧٥٦.

وأيضاً ما ذكر في كتب السنة عن موت النبي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي ، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا . قَالَتْ:اشْتَرَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم طَعَاما مِنْ يَهُودِيٍّ بِنَسِيئَةٍ ، وَرَهَنَهُ دِرْعا لَهُ مِنْ حَدِيدٍ. أخرجه أحمد ٦/٤٢ و"البُخَارِي" ٣/٧٣ و١٥١.

وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ ، عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أبنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا ، أو انْتَقَصَهُ ، أوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ ، أوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أخرجه أبو داود (٣٠٥٢) الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٧٢٩.

فاحترام النفس الإنسانية مبدأ إسلامي أصيل لا يختلف عليه اثنان ، عن بن أبي ليلى ، أن قيس بن سعد وسهل بن حنيف كانا بالقادسية ، فمرت بهما جنازة ، فقاما ، فقيل لهما : إنها من أهل الأرض ، فقالا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام. فقيل : إنه يهودي. فقال : أليست نفسا؟. أخرجه أحمد ٦/٦(٢٤٣٤٣) و"البُخَارِي" ٢/١٠٧(١٣١٢).

ولقد طبق المسلمون هذه المبادئ السامية في حياتهم ، فأنصفوا الآخرين من أنفسهم أيما إنصاف .قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : " إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦) سورة النساء.

قال أهل التفسير : أي ولا تكن لمن خان مسلمًا أو معاهدًا في نفسه أو ماله"خصيما" تخاصم عنه، وتدفع عنه من طالبه بحقِّه الذي خانه فيه ، وسبب نزول هذه الاية ، قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار

يقال له طعمة بن إبيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعاً من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما له بها من علم فقال أصحاب الدرع : لقد رأينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه فقال اليهودي : دفعها إلي طعمة بن أبيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة من اليهود . قال البغوي : وجاء بنو ظفر قوم طعمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي وأن يقطع يده فأنزل الله هذه الآية وقيل إن زيد بن السمين أودع الدرع عند طعمة فجحده طعمة الله فأنزل هذه الآية : { إنا أنزلنا إليك } يعني يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق يعني بالصدق وبالأمر والنهي والفصل { لتحكم بين الناس بما أراك الله } يعني بما علمك الله وأوحى إليكم وإنما سمي العلم اليقيني رؤية لأنه جرى مجرى الرؤية في قوة الظهور روي عن عمر أنه قال لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجهد رأيه لأن الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيباً ، لأن الله تعالى كان يريه إياه وإن رأي أحدنا يكون ظناً ولا يكون علماً قال المحققون دلت هذه الآية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم إلا بالوحي الإلهي والنص المنزل عليه { ولا تكن } يعني يا محمد { للخائنين خصيماً } يعني ولا تكن لأجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعاً عنه ومعيناً له { واستغفر الله } ، يعني مما هممت به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك عن طعمة { إن الله كان غفوراً } يعني لذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم { رحيماً } يعني بعباده المؤمنين .الطبري ١٨٣/٩ ، ابن كثير ٤٠٥/٢ .

١٢- الحاجة إلى التوبة الجماعية :

هناك توبة فردية وهي التي نتحدث عنها دائما في دروسنا ومواعظنا ، ولكن هناك نوع من التوبة قلما يتحدث فيه الوعاظ والدعاة وهي : التوبة الجماعية ، والتي دعانا الله تعالى إليها ، وجعلها سبباً للفلاح والنجاح والسعادة في هذه الحياة، فقال في محكم تنزيله: " وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) سورة النور.

فهذه دعوة إلى التوبة الجماعية بسبب أنها جاءت بعد الأمر بالتزام آداب الاستئذان على البيوت وعلاقات الرجال بالنساء والمعنى من ذلك هو أنه لا تستقيم حياة العفاف في المجتمع الإسلامي إلا بتوبة جماعية كبيرة يطغى فيها الخير على الشر أما توبة بعض الناس دون غيرهم فهو أمر لا ينجو به المجتمع من شر الذين " يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا".

فعلى كل مؤسسة تمثل المجتمع أن تتوب، وتكون توبتها بفهم أنواع الأخطاء التي قرضتها وأنهكتها وأفلستها، والقيام من ثم بتلافيها.

فلا عز لنا ولا قوة لنا إلا بالرجوع إلى دين الله عز وجل، فما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة .

عَنْ أَبِي بردَةَ ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُوسَى ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال:لاَ يُصِيبُ عَبْدًا نَكْبَةٌ ، فَمَا فَوْقَهَا ، أَوْ دُونَهَا ، إِلاَّ بِذَنْبٍ ، وَمَايَعْفُو اللهُ عَنْهُ أَكْثَرُ ، قال : وقَرَأَ : " وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ".أخرجه الترمذي (٣٢٥٢) رقم: ٧٧٣٣ في صحيح الجامع .

كانت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها إذا أصابها صداع في رأسها تضع يدها على رأسها وتقول : بذنبي يا رب .

قال بعض الصالحين : إني لأجد أثر معصيتي في خلق دابتي وزوجتي.

قال تعالى : " ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ

بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) سورة الروم.

عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ. وَيَقُولُ وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا. وَكَانَ يَقُولُ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ سِتٌّ يُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ وَيَنْصَحُهُ إِذَا غَابَ وَيَشْهَدُهُ إِذَا مَاتَ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ وَيَتْبَعُهُ إِذَا مَاتَ. وَنَهَى عَنْ هِجْرَةِ الْمُسْلِمِ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ. أَخْرَجَهُ أحمد ٦٨/٢(٥٣٥٧) رقم : ٥٦٠٣ في صحيح الجامع.

وعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِى رَبَاحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِى لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤُنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ. وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ. أَخْرَجَهُ ابن ماجة (٤٠١٩) الألباني :صحيح سنن ابن ماجه ٤٠١٩.

قال الشاعر :

لقد فارقَ اللهَ خلقٌ كثيرٌ !! * * * وهل فارقَ اللهَ في الخلقِ عاقِلْ ؟

وكنا إذا قيلَ للهِ هودوا * * * ذهبنا بعيداً وعُدْنا نجادِلْ

وكنا إذا قيلَ للهِ توبوا * * * ظننّاهُ عما فعلناهُ غافِلْ

اللهم وجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، اللهم واجعل بلادنا واحة للأمن والأمان والسكينة والاطمئنان ، اللهم واحفظ البلاد والعباد من كل مكروه وسوء .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
١- المظاهرات بين المشروع والممنوع	١٢
٢- حب الوطن من الإيمان	٢٣
٣- شكر الله تعالى على نعمة الأمن	٢٦
٤- صفحة جديدة مع الشباب	٢٩
٥- إذا صلح الرأس صلح الجسد	٣٢
٦- تخير لنفسك البطانة الصالحة	٣٧
٧- الظلم ظلمات يوم القيامة	٤٣
٨- وجوب محاسبة الولاة	٥٠
٩- الفساد الإداري ظاهرة تستحق المعالجة	٥٩
١٠- كيفية التعامل مع الشائعات	٦٥
١١- ميدان التحرير (المدينة الفاضلة)	٦٩
١٢- الحاجة إلى التوبة الجماعية	٧٣
الفهرس	٧٥